



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة الوادي

قسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب و اللغات

## شعرية الغموض في الشعر العربي الحديث والمعاصر بشير ونيسي – أنموذجا -

مذكرة تخرج معدة ضمن متطلبات نيل شهادة الليسانس

(ل- م- د) في اللغة العربية وآدابها

إشراف الأستاذ:

عبد العزيز مصباحي

إعداد الطالبات:

☞ ابتسام بوديسة

☞ آسيه زيد

☞ أنفال لطوفة

☞ نسبية دربال

الموسم الجامعي: 1434-1435هـ / 2013-2014م.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## شكر وعرfan

قال تعالى : ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:07]

بادئ ذي بدء نشكر الله العلي القدير ونحمده على أن وفقنا وأعاننا على إتمام هذا العمل من لا يشكر الناس لا يشكر الله عز وجل...

نتقدم بجزيل الشكر لكل من ساعدنا في إنجاز هذا العمل سواء من قريب أو من بعيد

كما يشرفنا أن نتقدم بأسمى عبارات الشكر والامتنان والتقدير إلى الأستاذ المشرف "عبد العزيز مصباحي" الذي لم يخل علينا بتوجيهاته ونصائحه القيمة التي كانت عوناً لنا في إتمام هذا البحث فنتقدم لك بخالص الشكر ووافر الامتنان على ما بذلت من جهد وتحملت من مشقة جعلها الله في موازين حسناتك..

كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأساتذة ونخص بالذكر رئيس قسم الأدب الأستاذ العيد حنكة والأستاذ بشير ونيسي على مساعدتهم لنا..

كما نشكر الأستاذ علي زواري أحمد على الجهود المبذولة في تحصيل المعلومات..

ونشكر كل من أسامة زيد وعبد الرزاق بوتة على إخراج المذكرة بهاته الحلة..

إلى كل من ساهم ولو بكلمة في إعداد هذا العمل سائلين المولى عز وجل أن يجزيهم كل الخير انه ولي ذلك والقادر عليه .

إبتسام ~ نسبية ~ آسيه ~ أنفال

# مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه بإحسان إلى يوم الدين

وبعد:

الشعر فن إبداعي إنساني يعتمد على الخيال لتصوير الواقع وما يختلج في النفس من معاني تجعل الإنسان يعيش عالما يتجاوز به الواقع من أجل خلق حرية أكثر وحياة أفضل، والشعر كإبداع إنساني يعبر عن الحياة والوجود ويفضله يستطيع الإنسان أن يخلق كونا شعريا بخياله وقد تكون لغة الشاعر سلسة وبسيطة بحيث تجعل المتلقي يتواصل معها بسهولة لكن قد تعترض المتلقي بعض التقنيات الشعرية التي تكسر أفق انتظاره فيقع في حيرة من أمره وارتباك يجعله يبحث عن تفسير وتأويل لما قرأه من الشعر وربما تكون من أشهر التقنيات التي يعتمدها الشعراء في التعبير عن أحاسيسهم شعرية الغموض.

فالغموض هو عتبة تحتاج إلى إضاءة وفهم من أجل الوقوف على معاني النص الشعري ولا مناص أن الشعر يعتمد في بعض الأحيان عن الغموض من أجل التعبير عن شعوره وأحلامه وأشجانه. وقد كان سبب اختيارنا لهذا الموضوع رغبة في التعرف على هذه الظاهرة كون الدراسات المتخصصة حول هذا الموضوع قليلة.

كما كان من بين الأسباب التي دفعتنا لاختيار الشاعر بشير ونيسي كون ديوانه يعتبر جديدا وغير مدروس من قبل، وهذا يعطي مزية ورونقا يختلف عن الدواوين المدروسة التي أشبعت بحثا ودراسة من أوجه مختلفة لأن الشاعر بشير ونيسي من شعراء الحداثة ومن أبناء المنطقة والدراسة حول هذا قليلة لأننا نرى الجميع يلتفت للشعراء الكبار المعروفين ومع ذلك فإن هذا الإختيار لهذا الشاعر يخدم

التراث الحلبي أولاً والتراث الوطني ثانياً والتراث العالمي بعد كل ذلك، كما أنه هناك ميزة أخرى في هذا الاختيار وهي القرب حيث نتمكن من لقية الشاعر والاتصال به على المباشر والحديث معه والإستفسار منه وغير ذلك من الأمور التي تكون مع الملاقاة، ولا تحصل ولا تكون في التعامل مع الديوان دون صاحبه.

والهدف من هذه الدراسة كشف سمة الغموض في الشعر الحدائثي ومحاول تبيين أثر الغموض على استقبال النص وتأويله، كما تكمن أهمية الغموض في كونه مقوم أساسي من مقومات الشعر الذي يكون مصدره كثافة الطاقة الشعرية التي تجعل من النص قابلاً للتأويل وتعدد القراءات.

والسؤال الذي يطرح نفسه: ما هو مفهوم الغموض؟ وتندرج تحت هذا السؤال عدة أسئلة: ما هي أسباب الغموض؟ وما هو موقف القدامى والمحدثين منه؟ وهل هذا الغموض له مفاتيح يمكن من خلال القراءة الوصول إليها تفتح مغالق النص؟ وهل للشاعر مبرراً في توظيفه واعتماده من أجل إثراء تجربته الشعرية؟ وهذا هو ما أردنا البحث عنه في بحثنا المعنون "شعرية الغموض في الشعر العربي الحديث والمعاصر بشير ونيسي - أمودجا -".

وقد اتبعنا في بحثنا هذا المنهج الوصفي الذي يجمع بين التحليل والنقد لأنه يتماشى وطبيعة الدراسة فهو يصنف الأمور في موضعها حسب ما هي مرتبة في البحث وفق الخطة التالية المكونة من مقدمة وفصلين وخاتمة.

أما الفصل الأول: (الغموض وموقف النقاد منه): وتطرقنا فيه إلى مفهوم الغموض وأسبابه وموقف

القدامى من الغموض، وموقف المحدثين منه.

أما الفصل الثاني: (المظاهر الفنية للغموض في الشعر الحدائي الحديث والمعاصر): فقد

تطرقنا فيه إلى الصورة واللغة والرمز في الشعر الحدائي.

ومن أهم المصادر والمراجع التي رجعنا إليها في بحثنا، الغموض في الشعر العربي الحديث لإبراهيم

رمانى، ظاهرة الغموض في الشعر الحديث محمد عبد الواحد حجازي، الشعر العربي المعاصر عز الدين

إسماعيل.

ومما لا شك فيه أن أي بحث يواجه عقبات وصعوبات حتى يصل إلى النتائج العامة والدقيقة

للدراسة:

- طبيعة إشكالية الموضوع في ذاته، لكونه عملية معقدة لا تتحدد في ملامح موضوعية واضحة.

- حداثة الموضوع وتشعب عناصره.

- اتساع الموضوع إلى حد يكاد يتمرد فيه على الدرس الموضوعي الذي يطلب قدرا كبيرا من الثبات

والوضوح في المادة المدروسة.

وفي الأخير نشكر كل من مد لنا يد العون والمساعدة من الأساتذة والزملاء ونخص بالذكر الأستاذ

المشرف عبد العزيز مصباحي الذي وجهنا توجيهها سليما وعاملنا بأخلاق علمية عالية أرشدنا طيلة

فترات البحث فله منا جزيل الشكر والتقدير والإحترام.

مدخل

## أولاً: ظاهرة الغموض في الشعر العربي

قضية الغموض في الشعر العربي ليست وليدة العصر الحاضر، فقد لازم الغموض الشعر منذ زمن طويل فوجدناه في شعر المبدعين بحيث يمكننا القول أن الغموض صفة تلازم الإبداع الفني الأصيل وما يجب علينا أن نعيه جيداً ونحن نلقي لمحة تاريخية على تاريخ الغموض في الشعر العربي أن للتاريخ دوره في إحداث الغموض سواء بالنسبة للشاعر أو بالنسبة للمتلقي المتذوق.<sup>1</sup>

لذا رأينا الغموض لم يخل في الشعر العربي القديم إنما كان قليلاً أمام نسبة الحضور فيه لأسباب عدة وهي الطبيعة المعرفية، الوظيفة الاجتماعية، عمود الشعر ونموذج الخطابة جوهر الرؤية والتجربة.<sup>2</sup>

فيبرز الغموض هنا بصفة جلية مع أبي تمام والمتنبي، أما أبو تمام فيكاد يكون الشاعر الوحيد الذي تسبب غموض شعره في إيجاد مكان "لقضية الغموض الشعري" في خريطة النقد العربي القديم، وإذا كان من المؤكد أن هناك أسباباً تضافرت جميعها فأصابت شعره بغموض — شكى منه غير واحد من النقاد في عصره وبعد عصره — فإن من المؤكد كذلك أن تلون ثقافته واحد من هذه الأسباب فأبو تمام يتكئ على ثقافات متنوعة اتصل بها إتصلاً وثيقاً لا يخلو من عمق و دقة، لهذا لا تتردد في الربط بين غموض شعره وصعوبته من ناحية وبين هذه الثقافة بوصفها واحد من عوامل هذا الغموض وهذه الصعوبة من ناحية أخرى.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - محمد عبد الواحد حجازي، ظاهرة الغموض في الشعر الحديث، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية 2001م ص97.

<sup>2</sup> - ابراهيم رماني، الغموض في الشعر العربي الحديث، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1987م، ص113.

<sup>3</sup> - عبد الرحمان محمد القعود، الإبهام في شعر الحداثة (العوامل والمظاهر وآليات التأويل)، عالم المعرفة، الكويت، 1422هـ 2002م، ص(22 ، 23).

ولم يأخذ الغموض في الشعر القديم شكل الظاهرة، إلا عند اشتداد النزاع حول مسألة القديم والحديث، التي ترجمت حركة الفعل الاجتماعي والفلسفي في محاولته الخروج عن الإيديولوجيا السائدة والثقافة الموروثة، محاولة تجسيد الرغبة في التغيير التي يفرزها الواقع الحضاري الجديد.<sup>1</sup>

فلما جاء الإسلام الحنيف حدث تحول أصولي في الشعر العربي في مواضيع الإبداع والإنشاء، وفي المعاني الإنسانية والأخلاقية والاجتماعية التي صارت من آداب المسلمين وكان أن حدث للغة ذاتها تطور جذري أصولي يتفق والمعاني الإنسانية التي جاء بها الإسلام تكون قادرة على التعبير عن المعاني القرآنية والآداب التي تحدث بها الرسول صلى الله عليه وسلم، فرقت الأساليب وابتعد الشعراء عن الألفاظ الغلاظ ذات الشراسة الصوتية، فأصبحوا لا يتفقون ولا يتخيرون إلا الرقيق العذب السلس من الألفاظ وإلا الجزل الرصين منها إذا اقتضى التعبير الجزالة والرصانة، وسار التطور البياني متأثر بالتطور الثقافي والحضاري والاجتماعي الذي شمل الأمة الإسلامية وقد ضمت أقطار حضارية شتى في الشرق والغرب، ورغم ذلك ظهر نوع جديد من الغموض لجأ إليه الشعراء بفضل التقرب من الخلفاء ومصانعتهم لنيل رفدهم وجوائزهم، وكذلك مصانعة الأمراء والوزراء وكبار رجال الدولة فكان على الشاعر أنئذ أن يلجأ إلى ما اصطنعه الجاهليون من العبارات ذات الألفاظ الغلاظ والشراسة الصوتية المستغلقة المعنى، وهناك غموض الشعر الصوفي الفلسفي وهو يرجع إلى منهج التأويل الرمزي للأفكار

<sup>1</sup> - ابراهيم رماني، مرجع سابق، ص114.

الوجودية التي تدور حول الوجود الإنساني والحقيقة الإلهية وحقيقة الصلة الكونية بين الله والإنسان ومرثية الإنسان في الوجود إلى غير ذلك من الأفكار الإلهية المتعالية على معارف السواد من الناس.<sup>1</sup>

فالصوفية تفهم مظاهر العالم انطلاقاً من كونها رموزاً لحقائق لا مرئية كما يوضح الأدب الصوفي نفسه.<sup>2</sup>

وقد تألق الغموض في فضاء القصيدة العباسية مع شعرائها الكبار أمثال (المتنبي، البحتري أبونواس بشار، ابن الرومي... الخ) يعبرون عن همّ حضاري جديد، عايشوه في تجاربهم وآراءهم، وشكلوه في قصائدهم المتباينة باختلاف مواقفهم وأساليبهم، ولهذا جاءت أشعارهم جميعها تنطوي على غموض نسبي، يتراوح بين الشفافية والكثافة وفق درجة تجاوزهم للبنية الدلالية السائدة، وتخطيهم لعمود الشعر كما تألق الغموض هنا ليحدث بعداً نسبياً في مفهوم الشعر عن الوعي الجمالي العام يعلق أسئلة متعددة ويفتح جدالاً شديداً حول غرابة هذا الشعر، ومدى صلاحية هذه الغرابة التي كلما ازدادت ازداد اختلاف النقاد واشتدت حيرة القراء ولم تكن تهمّة الغموض التي ألصقت بالشعر العباسي الجديد غير محاولة لطمس ملامح التغيير ودلالات التحول في مجتمع تسعى سلطته إلى المحافظة على ثباتها عبر كل مؤسساتها وتحليلاتها الثقافية والجمالية.<sup>3</sup>

وما يبدو هو أن الشكوى من غموض شعر الحداثة العربية بدأت في أواخر الخمسينيات فالغموض بوصفه ظاهرة يرتبط بتحول الشعر الحديث فهو واحدة من أعقد الظواهر في الشعر الحديث التي يجابه

1 - محمد عبد الواحد حجازي، مرجع سابق، ص (68 ، 69).

2 - عبد الرحمان محمد القعود، مرجع سابق، ص 21.

3 - ابراهيم رماني، مرجع سابق، ص 115.

بها القارئ في أثناء قراءته لقصيدة شعرية، أما الشعر العربي المعاصر يذكر الدكتور القط أن الغموض في الرمز المغلق غالب على الشعر المعاصر.<sup>1</sup>

وكثيرا ممن ألفوا قراءة الشعر القديم يواجهون صعوبة كبيرة في التجاوب مع الشعر الجديد وربما رفضوه من أجل هذه الصعوبة فالمؤكد أن الشعر الجديد يمثل اتجاهها جماليا يختلف عن اتجاه الشعر القديم، بل ربما وقف منه موقف النقيض، وربما حاول الجادون أن يتغلبوا على تلك الصعوبة بأن يكتفوا أنفسهم وهذا الإتجاه الجديد، ولكن كثيرا ما يقف حائلا دونهم وهذا التكيف خاصية في الشعر الجديد هي في الحقيقة مقوم من مقومات وجوده، وأعني بذلك غموض هذا الشعر، وينبغي أن نبدأ شئ من التحديد اللازم بمعنى الغموض في الشعر، فرمما ارتبط الغموض بطبيعة الشعر ذاتها حتى ليتمكن القول في بعض الأحيان أن الشعر هو الغموض وعند ذاك يكون شيوع ظاهرة الغموض في الشعر الجديد دليلا على أن هذا الشعر قد حاول التخلص من كل صفة ليست شعرية، والإقتراب من طبيعة الشعر الأصلية ولهذا ينبغي أن نحلل طبيعة الغموض ذاتها، وأن نقف على الضرورة الجمالية التي تجعل الغموض عنصرا جوهريا في الشعر.<sup>2</sup>

وأن الشاعر يدعي صلات سرية، صادقة أو كاذبة قد يقع في الغموض الشديد دون أن يدري وقد يكون لذلك تبريره أو تفسيره، ويكون مع ذلك شاعرا وقد لا يكون مع الشعر في شئ لأن سبب غموضه رؤية كاذبة أو غير ناضجة، فهو يوهم قارئه على أنه في السماء السابعة خيالا مُجَنِّحا بينما

1 - عبد الرحمان محمد القعود، مرجع سابق، ص11.

2 - عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر (قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية)، ط3، دار الفكر العربي للطباعة والنشر القاهرة، (د.ت.)، ص(187 ، 188).

هو في الشعر حالة تدليس فني لا أكثر على أنه مهما اختلفنا حول هذه النقطة فإن الغموض جزء من الشعر.<sup>1</sup>

فإذا كان الشعر الجديد إذن يغلب عليه طابع الغموض فلأن الشاعر قد عاد يدرك بوعي كان طبيعة عمله, وهي أن يقول الشعر أولاً, وأن يخترع في سبيل ذلك كل صورة وكل لفظة تقضى بها ضرورة أنه يقول الشعر وهذا معناه أننا نستقبل في الشعر الجديد — مع أنه غامض بل بسبب أنه غامض — شعر تميزه الأصالة, أو لنقل في بساطة شعرا حقيقيا, وبهذا الطراز من الشعر يمكن أن تغنى اللغة وتزداد ثراء من جهة, كما يمكن — مع الزمن — تكوين حاسة شعرية صادقة لدى القارئ, فلو أننا بقينا نرفض هذا الشعر لغموضه لما تحركنا من مكاننا خطوة, وأفضل من هذا أن نحاول الإقتراب من هذا الشعر وأن نروض أنفسنا على استقباله بكل ما فيه من غموض, لأنه بغير ذلك لم يكن ليكون شعرا, ومعنى هذا أن الغموض في العشر خاصة في طبيعة "التفكير الشعري" وليست خاصة في طبيعة "التعبير الشعري" وهي لذلك أشد ارتباطا بجوهر الشعر وبأصوله التي نبت منها.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - جهاد فاضل, قضايا الشعر الحديث, ط1, دار الشروق, بيروت, 1404هـ, 1984م, ص22.

<sup>2</sup> - عز الدين إسماعيل, مرجع سابق, ص [190, 194].

ثانيا: بشير ونيسي وديوانه الشعري

بشير ونيسي شاعر من الجزائر — الوادي — من مواليد 16 أوت 1972م, من الجنوب الجزائري, متحصل على ليسانس في الآداب واللغة العربية, دراسات عليا في الأسلوبية يشتغل حاليا في التعليم الثانوي أستاذ أدب عربي بثانوية عبد العزيز الشريف, من أشهر أعماله "كتاب التجلي" و"الحداثة وصل الجسد وصل العقل" ومجموعة قصصية تحت الطبع بعنوان "ظل الطير" نشر في موقع الحوار المتمدن مجموعة من المقالات النقدية ومجلة معابر الثقافية, كما نشر عديد القصائد في الصحف ومواقع الإنترنت "الذاكرة الثقافية للإمبراطور, فوانيس معابر".

يعتمد الديوان على تجربة القصيدة النثرية والتجربة الصوفية واللغة السريالية والخيال الوجودي ونجد من كتاباته رقة الشاعر وجرأة المحرب ولعبة الماسك بزمام لغته يحذيك ثقته بما يكتب فتجد نفسك تصغي إليه، وفي أثناء قراءتك لنصوصه يملك معه الى أبواب الدهشة تطرق.. وتطرق.. وعندما يفتح أمامك باب يكون لك مطلق الحرية بعد ذلك في الدخول هو التمهل وذلك حسب من تجده بوجهك في الداخل.<sup>1</sup>

ويعد "كتاب التجلي" الكتاب الشعري الثاني للرائع بشير ونيسي وهو خواطر عنت لي قبل الولوج في الكتاب رغم حجمه الصغير, وعدد صفحاته القليلة ( 73 صفحة ), والذي قسمه إلى ثلاث قصائد وكل قصيدة تندرج تحتها عدة قصائد أخرى, وهي الجزء الأول بعنوان "مدخل" و "عيد النور" و

<sup>1</sup> - مقابلة مع الأستاذ بشير ونيسي, يوم الاربعاء, 04-12-2013م, الساعة: 12:30, بثانوية عبد العزيز الشريف الوادي.

"جزائر الوجود" ويعرفنا الشاعر في هذا الديوان بالمتجلي الذي نسب الكتاب له فقدمه في تعريفات

سبعة:<sup>1</sup>

1- المتجلي : هو الذي أريده يهجرني

2- المتجلي : أكون به حين أريد

3- المتجلي : ما أريد حين أرى

4- المتجلي : هو الوجود لحظة العدم

5- المتجلي : ما أنا فيه وبه ومنه وإليه

6- المتجلي : عرس الوحي في جنة النور

7- المتجلي : أسمى به الروح وأفعل شكل الجسد.<sup>2</sup>

وكما يظهر فيما سبق المتجلي هو الشاعر بشير ونيسي المتوحد في الشعر والتصوف والفلسفة في مقاطعة الخمسين والملاحظة الأولى هي "عيد النور" لنحتفل مع المتجلي بعد معرفتنا به العنونة حيث أن أغلب المقاطع عنونت بكلمة جاءت كلها نكرة فهي تدل على الإيجاء والغموض والجمال والبعد، وهو ما يدفع للوقوف عنها، وفي القسم الثاني يمضي بنا الشاعر عبر "جزائر الوجود" معتمد على الرقم سبعة حيث يرد القسم في سبعة مقاطع هذه المرة دون عنونة، فالشاعر وهو يخاطب جزائر وجوده مازال بنفس اللغة الصوفية الفلسفية يخاطب معشوقته، ويحتضر فيها سنين الجمر السبعة في مقاطع

<sup>1</sup> - مقابلة مع الأستاذ بشير ونيسي، يوم الأحد، 07-12-2013م، الساعة: 13:00، بثانوية عبد العزيز الشريف الوادي.

<sup>2</sup> - بشير ونيسي، كتاب التجلي، ط1، مطبعة مزوار الوادي، الجزائر، 2009م، ص01.

سبعة, تنقلنا كل لفظة مما سبق ذكره إلى بحار المعاني المؤلمة, المفرحة في ثنائية لم تفارق الشاعر: لغة بشير وحلم بشير.

لينتهي الكتاب ببدء حيث الفضاء المفتوح, النص المفتوح, الحلم المفتوح, الذي كلما قلنا انتهى ابتداء:

أَبْدَأُ مِنْ دَمِي

وَجْهِي أَعْلَى

آه لَوْ تَتَجَلَّى.

ثلاث جمل تختصر كتاب التجلي في بداية تبشر بآتي الشاعر وأمنيته وتجلياته التي تحمل القارئ إلى مدخل الكتاب في دائرة تشعرك بخدر النشوة, ولذة الحلم, وطيف الآني, هكذا بشير في لغته أغنياته, يعبت يحضن اللغة, يللم يشظي المعنى, يخفي تجلي الصورة, مما يتركنا في حيرة التصنيف الذي لا يعترف به حيث يقدم لك النص, وعليك أن تقول وتتأول.<sup>1</sup>

ولعلنا في هذا الإمام نكون قد أعطينا صورة قوية ومحسوسة عن ظاهرة الغموض في الشعر العربي في أطواره المتواترة القديم والإسلامي العباسي الحديث والمعاصر.<sup>2</sup>

كما أشرنا إلى ديوان المتجلي للشاعر الجزائري ونيسي بشير وتجدد في كتابات هذا الأخير الشعرية والنثرية نكهة الفيلسوف وتأمل المتصوف.-

<sup>1</sup> - مقابلة مع الأستاذ بشير ونيسي, 03-12-2013 م, مرجع سابق.

<sup>2</sup> - محمد عبد الواحد حجازي, مرجع سابق, ص70.



# الفصل الأول: الغموض وموقف النقاد منه

تمهيد

المبحث الأول: مفهوم الغموض

المبحث الثاني: أسباب وعوامل الغموض

المبحث الثالث: موقف القدامى من الغموض

المبحث الرابع: موقف المحدثين من الغموض

الفصل الأول: الغموض وموقف النقاد منه

تمهيد

امتاز الشعر الجديد بالغموض وهذا ما أدى إلى اختلاف دلالاته فأصبح غامضا لا يفهم مباشرة. " فالغموض فن ولكن يجب أن لا يقصد إليه قصدا بذاته كأسلوب وإنما يجب أن يُنتج عفويا دون قصد يتولد تلقائيا مع البنية التعبيرية " <sup>1</sup>.

" والغموض ظاهرة جمالية في الشعر الحدائي طالما أجاد الشاعر استثمارها بتجربته الشعرية " <sup>2</sup>.

المبحث الأول: مفهوم الغموض

أ- لغة :

جاء في لسان العرب لابن منظور: "عَمَضَ، العُمُضُ العَمَاضُ والعِمَاضُ والتَّعْمِاضُ والتَّعْمِضُ والإِعْمَاضُ، وَعَمَّضَ وَيَعْمِضُ عُمُوضًا وفيه عُمُوضٌ، قال اللحياني: "ولا يكادون يقولون فيه عُمُوضَةً، والغامِضُ من الكلام خلاف الواضح، وقد عَمَّضَ عُمُوضَةً وَعَمَّضْتُهُ أنا تَعْمِيزًا"، قال ابن بري: "ويقال فيه أيضا عَمَّضَ، بالفتح، عُمُوضًا" <sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث (اتجاهاته وخصائصه الفنية)، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1925م، ص654.

<sup>2</sup> - بشير تاوريريت، الحقيقة الشعرية على ضوء المناهج النقدية المعاصرة والنظريات الشعرية ، دراسة في الأصول والمفاهيم ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2010 م، ص240.

<sup>3</sup> - ابن منظور، لسان العرب، ج7، ط1، تح: عامر أحمد حيدر، راجعه: عبد المنعم خليل ابراهيم، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 2003 م، 1424 هـ، ص( 224 ، 226 ) .

كما جاء أيضا في معجم مقاييس اللغة لابن فارس: "الغين والميم والضاد أصل صحيح يدل على تطامن في الشيء وتداخل, فالعَمَضُ: ما تطامن من الأرض وجمعه عُموَض, ثم يقال غَمَضَ الشيء من العلم وغيره, وهو غَامِض, ودار غامضة, إذا لم تكن شارعة بارزة.<sup>1</sup>

أما عند فيروز أبادي: "العَامِضُ المَطْمئن من الأرض ج عَوَامِض كالعُمُض جمع عُموَض وأَعْمَاض وقد غَمَضَ المكان عُموَضًا كَكْرَم, وما اكتحلت عَمَاضًا ويكسر وعُمُضًا بالضم وتَغَمَاضًا و تَغْمِيض بفتحهما وإِغْمَاضًا بالكسر".<sup>2</sup>

أما في معجم الوسيط: "عَمَضَ المكان عُموَضًا: انخفض انخفاضًا شديدًا حتى لا يرى ما فيه والشيء والكلام خفي, ويقال ما عَمَضْتُ ما نمت (أغمضت) الفلاة على الشخصوس لم تظهر فيها.<sup>3</sup>

"عَمُضَ, يَغْمُضُ عُموَضًا, فهو غامض غَمُضَت عينه: نام, انظم جفناها وانطبق عَمُضَ الكلام عَمُضَ الأمر خفي مأخذه, ومعناه لم يفهم, غمض كلامه فلم أفهم منه شيئًا صيغ القرار بصورة غامضة — أسلوب غامض — تغمض في الأمر ترخص فيه تساهل.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء, مقاييس اللغة, ج4, (د. ط.), تح: عبد السلام محمد هارون, دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع, ص395.

<sup>2</sup> - فيروز أبادي, القاموس المحيط, ج2, ط3, الهيئة المصرية العامة للكتاب, 1398 هـ, 1978 م, ص336.

<sup>3</sup> - معجم الوسيط, مجمع اللغة العربية, الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث, ط4, مكتبة الشروق الدولية, 1425 هـ 2004 م, ص662.

<sup>4</sup> - أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل, معجم اللغة المعاصرة, المجلد الأول, ط1, عالم الكتب, القاهرة, 1469 هـ 2008 م, ص1642.

## ب- اصطلاحا :

الغموض عند (أدونيس): "هو حلة وجسد يأوي إليها الروح الشعري بوصفه مجموعة من المعارف والعلوم".<sup>1</sup>

ويقول (السياب): "أن الغموض عبارة عن العقدة المسحورة التي أوجدتها يد العاطفة في ساعة جنون".<sup>2</sup>

وفي نظر (محمد بنيس): "الغموض معزو إلى الغرابة في الكلام المستعمل في التعبير الشعري غير أن هذه الغرابة سرعان ما تزول حين تتضح قوانين الكلام وأبنية التعبير في ضوء مقومات محددة".<sup>3</sup>

أما (محمود أمين): يقول "إن الغموض صفة ذاتية في البلاغة الشعرية من حيث أنها تعبير بلاغي تخيلي".<sup>4</sup>

فعند (نازك الملائكة): "أن الشعر لا بد له من مسحة من الغموض تجعل المعاني مثيرة للتعطش في نفس القارئ، فيحس وهو يقرأ أنه يلمس المعاني ولا يلمسها في الوقت نفسه فالأفكار تزوغ ولا تثبت، وفي القصيدة إماء إلى المعنى يبقى الذهن متطلعا يريد ويلمس ما يرد وينال شيئا وتفوته أشياء".<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - بشير تاوريريت، مرجع سابق، ص 418 .

<sup>2</sup> - فاتح علاق، مفهوم الشعر عند رواد الشعر الحر العربي، (د.ط)، دراسة منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2005 م ص 202.

<sup>3</sup> - مفتاح محمد عبد الجليل، نظرية الشعر المعاصر في المغرب العربي، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 1428 هـ ، 2008 م ص 289.

<sup>4</sup> - محمد ناصر، مرجع سابق، ص 654.

<sup>5</sup> - فاتح علاق، مرجع سابق، ص 200.

واهتم النقاد والدارسين في الغرب أيضا بظاهرة الغموض :

فقد عده (جاكسون): ملمح لازم للشعر، ويقول "مكائد الغموض توجد في جذور الشعر نفسها"،  
ويعلق جاكسون إلى أن الرسالة ليست وحدها غامضة وإنما يصبح المرسل والمتلقي غامضين أيضا".<sup>1</sup>  
تعرض الناقد الإنجليزي المعروف Empson للغموض، حيث قال: "الغموض في الكلام العادي لا  
يكون واضحا ولكنه عادة ما يكون بارعا ومظللا واقترح أن تستعمل الكلمة بمعناها الواسع فتعتبر مما  
له صلة وثيقة بهذا الموضوع، أي ظل من الفرق الكلام — مهما كان نافعا — لأن هذا الفرق  
يفسح مجالا للاختيار بين ردود الأفعال الطويلة ، واتجاه نفس القطعة من اللغة".<sup>2</sup>

ومن خلال هذه التعاريف نستنتج أن للغموض أنواع وهي :

أولا : الغموض البناء :

وهو نوع من الغموض المقبول لأنه يثير في النص معاني الإيحاء والمتعة، ويبعث في نفس المتلقي شعور  
بلذة الشعر والاستمتاع به.

ثانيا : الغموض الهدام :

وهو النوع المقابل للغموض البناء لأنه يحول دون فهم المعنى، ويؤدي إلى إرباك المتلقي وانصرافه على  
النص بسبب امتناع الشعر عن القراءة والاستيعاب والتلقي.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - حسن البنا عز الدين، الشعرية والثقافة، مفهوم الوعي الكتابي وملاحظته في الشعر العربي القلم، ط1، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب، 2003 م، ص36 .

<sup>2</sup> - مفتاح محمد عبد الجليل، مرجع سابق، ص(282،283).

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص287.

أما الناقد أحمد الطريسي ميز بين نوعين من الغموض هما:

أولاً : الغموض الطبيعي:

وهو لون من الغموض الدال على عمق المعنى وجمال النص, فالشاعر المجيد في عمل الشعر يعد هذا الغموض عنصر من عناصر بنيته الشعرية الجديدة, لأنه سيضيف إلى شعره مظهراً فنياً من مظاهر الإثارة والمتعة والإيجاء.

ثانياً : الغموض المصنوع:

يعتبر هذا الغموض شكلاً من أشكال التعقيد والإبهام، فهو السبب الأساسي في قطع العلاقة بين النص والمتلقي لأن امتناع القارئ عن قراءة هذا النص المبهم كان بفعل التعقيد والتعمية في الشعر (فالشاعر يلجأ إلى هذا الشكل المردود من أشكال الغموض حين يضيق أفقه, وينصب معينه فيبني شعراً لا علاقة له بالشعر).<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - مفتاح محمد عبد الجليل, مرجع سابق, ص296.

## المبحث الثاني: أسباب وعوامل الغموض

وإن كان الغموض ظاهرة إيجابية في التأمّلات النظرية لأدونيس, فإن هذه الظاهرة قامت في منشئها على جملة من الأسباب والدوافع, وها هو أدونيس يقف عند أولى هذه الأسباب, فالشاعر لا ينطلق من فكرة واضحة محددة, بل من حالة لا يعرفها هو نفسه معرفة دقيقة ذلك لأنه لا يخضع في تجربته للموضوع أو الفكرة أو الإيديولوجيا أو العقل أو المنطق, وهنا يشير أدونيس من خلف السطور هذا القول, إلى غموض العملية الإبداعية.

وإذا كانت الموضوعات أو الأفكار في الشعر القديم موجودة سلفاً في ذهن الشاعر وهي خاضعة لقوانين العقل والمنطق, فإن موضوع النص الحداثي يولد من جديد بعد الكتابة, وعلى يد القارئ المعاصر يولد معه النص من جديد ولادة خصب ونماء وهكذا فإن قراءة النص الحديث هي قراءة كشفية تسعى جاهدة إلى خلق النص وتشكيله من جديد, في حين أن القراءة التقليدية هي قراءة اكتفاء بما هو موجود من معان سطحية في المنجر النص بوصفه وجود مرئي.<sup>1</sup>

فقد كان سبب الغموض في نظر (بنيس): "هو قوانين الكلام المستعمل في تركيب الشعر" وصلاحي بوسريف يتفق معه في الرأي فيعود بالغموض إلى قوانين التعبير اللغوي, فهي في تصوره تتحكم في توجيه الممارسة الشعرية وتركيبها, فالناقد نجيب العوفي يقرر في وصفه لظاهرة الغموض في النص أن طبيعة المرحلة وظروف المبدعين وما يضاف إلى ذلك من العوامل والأسباب تسببت في شيوع الظاهرة

<sup>1</sup> - بشير تاويريت, مرجع سابق, ص421.

وانتشارها فالنصوص الجديدة خير دليل على إبهام الشعر وتعقيده، وتمرده لأن ظروف الشعراء وأوضاعهم البائسة هما مصدر التعقيد.<sup>1</sup>

وثمة تفسير لغوي لظاهرة الغموض يكشف عنه أدونيس من خلال موازنته بين لغة الشعر القديم والحديث: "اللغة في الشعر العربي القديم لغة تعبير، يعني أنها لغة تكتفي من الواقع ومن العالم بأن تمسهما مسا عابرا رقيقا".<sup>2</sup>

هذا يعني أن لغة الشعر ليست لغة تعبير بقدر ما هي لغة خلق، وليس الشاعر الشخص الذي لديه شيء ليعبر عنه وحسب، بل هو إلى ذلك الشخص الذي يخلق أشياء بطريقة جديدة.<sup>3</sup>

إن وظيفة الشعر هي الخلق للتعبير، وظيفتان متوازيتان لا لقاء بينهما عند أدونيس، ووظيفة الخلق هي التي تظل مستبدة به، على هذا النحو يكتب (أدونيس): "ولئن كان الوضوح طبيعيا في الشعر الوصفي أو القصصي أو العاطفي الخالص، لأنه يهدف إلى التعبير على فكرة محددة أو وضع محدد فإن هذا الهدف لا مكان له في الشعر الحق، فالشاعر لا ينطلق من فكرة محددة"، فلغة الشعر الحديث هي لغة غامضة، لأنها لغة الحيات عن المعاني القاموسية، هذه المعاني تمثل صورة من صور الواقع المرئي، فلما كانت واضحة كل الوضوح أبي شاعر الحداثة نقلها لنا عبر مستودع النص الشعري، فكان عمل الشاعر الحدائي عمل خرق وخلق لأنفس المعاني الجديدة حتى يتسنى له نقل الواقع اللامرئي بلغة شعرية لا مرئية وهذا ما ولد ظاهرة الغموض لدى شاعر الحداثة

<sup>1</sup> - مفتاح محمد عبد الجليل، مرجع سابق، (بتصرف)، ص (290 ، 291).

<sup>2</sup> - بشير تاويريريت، مرجع سابق، ص 421.

<sup>3</sup> - أدونيس علي أحمد سعيد، مقدمة للشعر العربي، ط3، دار العودة، بيروت، لبنان، 1979 م، ص (126 ، 127).

وثمة تفسير ثالث لظاهرة الغموض عند أدونيس يتمثل في عدم إدراك معاني النص إدراكا كلياً وهذا ما جرت العادة على تسميته بانفتاح النص وتراسل المعاني، والحق أنه ليس من الضروري لكي تستمع بالشيء أن تدرك معناه إدراكاً شاملاً، ومن شروط الفهم عند أدونيس هو الاعتراف بأن الإنسان محدود الفهم لأن المعاني لا يمكن أن تكون كلها واضحة، ما دام الإنسان نفسه لم يفهم نفسه ومن لا يعرف نفسه المعرفة كلها لن يعرف أي شيء، وهذا ما يؤكد الدور الريادي للقارئ الجديد، الذي يقرأ بجميع ملكاته الشعرية واللاشعورية، ويقرأ في ضوء الأفاق التي فتحت عليها الكشوفات الإسلامية، ولعل سعة الثقافة والمعرفة كفيلاً بإنتاج معاني لا نهائية في نص الحداثة بوصفه نصاً ضارباً في تصدعات الذات الإنسانية المكهربة باضطرابات الواقع وتآزمات الحضارة حيث راح شعراء الحداثة في متاهات الغموض يطاردون الأشعار والأمطار، يطاردون المجهول كي يمددهم بالرمز، والإشارة كي تمددهم بالحداثة في تناقضها وتعارضها وغموضها.<sup>1</sup>

وهذا هو الغموض والتناقض اللذان دفعا أحد الذين كتبوا عن تناقضاتها إلى القول بأنها كتاب يصيب تقلب صفحاته بالصداع والسوداوية ويبدو أن الحداثة تفرض نفسها أمام هؤلاء الذين درسوها وقلبوا صفحاتها، تفرض نفسها كما يقول (جان بودريار): "وكأنها وحدة متجانسة مشعة عالمياً ومع ذلك تظل الحداثة موضوعاً غامضاً".<sup>2</sup>

وثمة أسباب عديدة يأتي في مقدمتها غموض العملية الإبداعية، وطريقة استخدام اللغة بوصفها سفينة الشاعر في مسيرة كشف الأبدية، تناسل المعاني وذلك عن طريق انبجاس النص وانفتاحه على المجهول

<sup>1</sup> - بشير تاويريت، مرجع سابق، ص 422.

<sup>2</sup> - عبد الرحمن محمد القعود، مرجع سابق، ص (76 ، 77).

والثقافة والمعرفة, بوصفهما رافدين كبيرين في تشظي ظاهرة الغموض على جسد وروح نص الحداثة, وتلعب الصورة الشعرية إلى جانب هذه العوامل دورا رئيسيا في استفحال هذه الظاهرة كي تتراءى له السبل لاختراق المجاهيل.<sup>1</sup>

كما كان تحديد مظاهر الغموض وأسبابه في نظر المغاربة المعاصرين في أربعة أقسام :

### القسم الأول :الغموض المتعمد

وهو ينتج عن رغبة مسبقة للتعمية والتضليل من قبل الشاعر, بدعوى أن هذه التعمية منهج من مناهج الشعر المتطور، في حين أنها لا تعدو أن تكون تصرفا ذاتيا من قبيل الألباز المجردة

### القسم الثاني : الغموض المنبثق من الحداثة والتغيير الجديد

وهو لون من الغموض الشعري المؤثر, فالنص يستقل بشكله ومعناه, ويستعصي فهمه واستيعابه لما يشتمل عليه من الغرابة والتعقيد, وهو كما يقول (الطرابلسي): "ظاهرة تحصل كلما لم يوفق الشاعر في إحكام الصلة بين ما يريد من الشعر, وما يريد الشعر منه فتكون نتيجة كلاما غامضا لا قدرة للشاعر على إزالة غموضه"

### القسم الثالث : الغموض المتولد عن فقدان المعرفة والخبرة في عمل الشعر

ويعود هذا القسم من الغموض بحسب رأي هذا الناقد إلى تعاطي الشعر في غياب الوعي بممارسته وطرائفه القديمة والحديثة.

<sup>1</sup> - بشير تاويريت, مرجع سابق, ص ( 422 , 423 ).

كما أن هذا النوع من الغموض لم يعرفه الشعر العربي في المراحل القديمة لأنه نتج عن قصور في ثقافة الشاعر ومعارفه اللغوية والفنية خلال الفترة الأخيرة فلم يكن هذا الضرب من الغموض شائعا في أدب القدماء, ولا كان الغموض الذي أثر عنهم ذا خطر على الذوق والصناعة لا لأن الناس كانت له بالمرصاد, ولا لأن ثقافة الناس الأدبية كانت أمتن وأعمق من ثقافتنا اليوم, ولكن لما لاحظناه من أثر الغموض.

#### القسم الرابع : الغموض الناتج عن حدة الشعر أو كثافة الطاقة الشعرية

وهذا القسم من أقسام الغموض مصدره قابلية النص للقراءة المتعددة فهو نتيجة محتملة لتزاحم القيم الإبداعية ودلالاتها المثيرة في الشعر

وقد اعتبر الطرابلسي هذا الغموض ملمحا من ملامح البناء المحكم للشعر وعنصرا من عناصر الإبداع في تأليفه وتشكيل فنونه الحديثة, وقال عنه "هذا هو الغموض الواجب وجوده في الشعر وقد طلبه الكثيرون فأخطأوه, أو جهلوا حقيقته وحقيقة الشعر قتنكبوه, أو هم أغربوا في غير باب الإبداع فأبدلوه, فكان الغموض في كلامهم غموض تمحل حيناً, وغموض قصور حيناً آخر, أو غموض إغاز, وقلما كان الغموض في كلامهم غموض الشعرية والإبداع", فالمتتبع لهذه الأسباب في الشعر المعاصر — كما يرى الباحث — يجب أن يكون متمرسا بفنون القراءة الشعرية حتى تتضح له أبعاد التعبير الشعري وقضايا الفن والأدب.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - مفتاح محمد عبد الجليل, مرجع سابق, ص [ 293 - 295 ].

## المبحث الثالث: موقف القدامى من الغموض

يرى عدد من نقادنا العرب القدامى بأن الشعر الجيد أو الخالص البديع غامض بطبيعته, فقد كان حديث العلماء العرب القدامى عن الغموض حديث مفرق متناثر في دراسات المفسرين والأصوليين واللغويين والنحاة والبلاغيين فلقد لفتت ظاهرة الغموض أنظار القدامى منذ وقت مبكر.

ورأى (أبو إسحاق الصابي) في غموض الشعر قيمة أساسية تميزه عن النثر بقوله: "إن طريق الإحسان في منثور الكلام يخالف طريق الإحسان في منظومه, لأن الترسل هو ما وضع معناه أعطاك سماعه في أول وهلة ما تضمنته ألفاظه, وأفخر الشعر ما غمض فلم يعطك غرضك إلا بعد مماطلة منه".<sup>1</sup> ثم قال بعد ذلك ولسائل أن يسأل فيقول: "من أي جهة صارت الأحسن في معنى الشعر الغموض وفي معاني الترسل الوضوح؟"

فالجواب أن الشعر بني على حدود مقررة, وأوزان مقدرة, وفصلت أبياته, فكان كل بيت منها قائما بذاته وغير محتاج إلى غيره, إلا ما جاء على وجه التضمنين وهو عيب, فلما كان النفس لا يمتد في البيت الأول بأكثر من مقدار عروضه وضربه وكلاهما قليل, أُحتجج إلى أن يكون الفصل في المعنى, فاعتمد أن يلطف ويدق.

ولذلك كما في قوله: "إن الشعر ما غمض معناه" على أن إطلاق القول على هذا الوجه من غير تقييد لا يدل على الغرض الصحيح بل صواب القوال كل كلام من منثور ومنظور فينبغي أن تكون مفردات ألفاظه مفهومة, لأنها إن لم تكن مفهومة فلا تكون فصيحة, ولكن إذا صارت مركبة نقلها

<sup>1</sup> - ابراهيم رمانى, مرجع سابق, ص 116.

التركيب عن تلك الحال في فهم معانيها، فمن المركب منها ما يفهمه الخاصة والعامة ومنه ما لا يفهمه إلا الخاصة وتتفاوت درجات فهمه، ويكفي من ذلك كتاب الله تعالى، فانه أفصح الكلام، وقد حوَّط به الناس كافة من خاص وعام، ومع هذا فمنه ما يتسارع الفهم إلى معانيه ومنه ما يتغمض فيعز فهمه.

وأما الجواب الذي أجاب به في الدلالة على غموض الشعر ووضوح الكلام المنثور، فليس ذلك بجواب، وهب أن الشعر كل بيت منه قائم بذاته، فلما كان مع ذلك غامضا؟<sup>1</sup>

فالبيت الشعري لما كان محجوزا على الشاعر أن يزيد فيه أو ينقص منه أو يلحق به بيتا آخر فيحصل أحدهما مرتببا بصاحبه بخلاف الرسائل فكان المعنى قد يساوي ألفاظ البيت تارة، ويزيد عليها تارة، وينقص عليها أخرى، فكان الأحسن أن يزيد المعنى، لأن اللفظ الحسن يغير معناه كامرأة ميتة حسنة الصورة، وحينئذ يتم إشاع الجملة، لأن المعاني إذا كثرت، وكانت الألفاظ تفي بالتعبير عنها أحتيج بالضرورة إلى أن يكون الشعر يتضمن دروبا من الإشارة وأنواع من الإماءات والتنبهات فكان فيه غموض كما قال البحيري:

وَالشَّعْرُ لَمْحُ تَكْفِي إِشَارَتُهُ      وَلَيْسَ بِالْهَدْرِ طَوَّلَتْ خَطْبُهُ

ولسنا نعني بالغموض أن يكون كأشكال إقليدس والمجسطي و الكلام في الجزء، بل أن يكون بحيث إذا ورد على الأذهان يلفت منه معاني غير مبتذلة، وحكما غير مطروقة، فلا يجوز أن يكون الشعر الذي يتضمن الحكم هو أحسن الشعر، ومعلوم أن أحسن الشعر الذي يتضمن الحكم هو المعنوي

<sup>1</sup> - ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، القسم الرابع، (د.ط)، تح: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نخضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة، (د.ت)، ص[7-9].

كشعر أبي تمام ومن أخذ أخذه فذلك القدر من المعنى هو الذي يعنيه أبو إسحاق بالغموض لا غير.<sup>1</sup>

وقد عابوا على أبي تمام غموض المعاني ودقتها، وكثرة ما يورده مما يحتاج إلى استنباط وشرح واستخراج.<sup>2</sup>

فقد اتهم بأنه لا يقول ما يفهم، والحق أن الغموض الذي جاء به شعر أبي تمام كان سببه توليد المعاني لا توليد الأفكار، وهذا أشد إرهاقا للعقل والخيال والإحساس، كما أنه لجأ إلى الغموض البلاغي إذ مدح أميرا أو كبيرا النفس.<sup>3</sup>

وحين بحثوا فيض أسباب الغموض لديه عزوا ذلك إلى سوء النسج كما في قوله:

خَانَ الصَّفَاءُ أَخَ خَانَ الزَّمَانَ أَخَا عَنَّهُ، فَلَمْ يَتَخَوْنَ جِسْمَهُ الْكَمْدُ

إذ أنه يريد: "خان الصفاء أخ خان الزمان أخوا من أجله إذا لم يتخون جسمه الكمد"، وهذا المعنى مما لا يؤديه تركيب البيت في سهولة ويسر.

وعزوه أيضا إلى ولعه بالفلسفة والمعاني الفلسفية كما في قوله:

فَسِمْتُ لِي وَقَاسَمْتَنِي بِلِسْطَانِ مِنَ السَّحْرِ مُقْلَتاً "عَبْدُوس"

فَالْقَسِيمُ الْقَسَامُ عَنَ لِحَظَاتٍ مِنْهُمَا يَخْتَلِسَنَ حُبَّ النَّفُوسِ

فالذي قاسمت بلحظ إذا الليل تمطى من الكرى المنفوس

<sup>1</sup> - ضياء الدين بن الأثير، مرجع سابق، ص(305،306).

<sup>2</sup> - محمد حسين الأعرجي، الصراع بين القديم والجديد في الشعر العربي، (د.ط.)، عصمى للنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ت) ص189.

<sup>3</sup> - محمد عبد الواحد حجازي، مرجع سابق، ص69.

وقالوا: "إن معانيه تغمض لما فيها من إشارات, ورموز مستقتاتين من ثقافته الشعرية الواسعة واطلاعه على الأخبار وحوادث التاريخ" وبحثوا في جانب آخر من غموضه ما أسموه الخطأ في المعاني ومنشأ هذا الخطأ لديه — كما يبدو — توهمه دلالات جديدة للألفاظ هي غير ما عرفه العرب الأقدمون, ولا ندري إذا كان ذلك وهما يختص به وحده أو هموما يشاركه فيها عصره كما في قوله:

قَسَمَ الزَّمَانَ رُبُوعَهَا بَيْنَ الصَّبَا وَقَبُولِهَا, وَدُبُورَهَا أَثَلَاثًا

فهو يتوهم أن الصباريح أخرى غير القبول والدبور, في حين أن العرب يقولون أن الصباهي القبول ومنشأ الغموض أن هذا المعنى الجديد للصبأ أو القبول, الذي ذهب إليه أبو تمام, لم يستقر بعد في الأذهان استقرارا تاما, مما يبعث على التساؤل والإتهام بالغموض.

ويلاحظ على نقاد أبي تمام أنهم بحثوا في الغموض لديه, وكأنهم يقصدون به مصطلحا أبيات المعاني التي تحتاج إلى استخراج و تدقيق نظر, وتفضي بعد هذا التدقيق إلى معنى واضح محدد يمكن أن يؤدي بالشر, ومما يدلنا على ذلك ما ورد به ابن الأثير على أبي إسحاق الصابي الذي يفرق بين الكتابة والشعر ويقول ( ابن الأثير ): "أنه ينبغي ألا ينظر للشعر نظرة خاصة به, تقوم على ما فيه من قيم جمالية, وإنما على ما يراد منه من تحقيق وظيفته في الإفهام", ومعنى هذا أيضا أن ما يخرج على شرط الإفهام من الشعر لا يخرج بنفسه, وإنما بعلة طارئة عليه هي سوء النسخ, والفلسفة وسواهما وإذن فقد بحث هؤلاء النقاد في الغموض لديه, وكأنهم يبحثون في أبيات المعاني, وكان يدور في أذهانهم أشياء مما بحثوها تحت باب الغموض أولئك النقاد, وأشياء أخرى مما لم يبحثوها تحته, وإنما بحثوا بعضها من باب ( قبح الاستعارة ) وأمثلتها متعاملة مشهورة, وبعضها آخر تحت (باب الإحالة) وهذان البابان هما

للدان كانا يستحقان أن يوليا الأهمية في بحث الغموض, وليس أبيات المعاني لأن مدار الشعر عليهما في غموضه, وليس على تحصيل المعنى الواضح المحدد بعد كد الخاطر, وإطالة التأمل ولمن يكن المتنبى بأحسن حالا منه — في غموضه — لدى نقاده, فقد عزوا الغموض لديه إلى التعقيد مرة, وإلى الفلسفة مرة أخرى ولم يبحثوا في استعارته وإحالاته, وإنما اكتفوا برمي الغامض منها بالقبح دون محاولة منهم أن يقفوا على أسرارها, وأبعادها النفسية لدى الشاعر.<sup>1</sup>

ولم يستكره أبو هلال العسكري انعدام الألفة في الشعر, فقال في شرحه لديوان أبي محجن الثقفي: "من حق الشعر أن تكون ألفاظه كالوحي ومعانيه كالسحر".

وكان عبد القاهر الجرجاني يفرق بين الغموض الناتج عن المعنى التخيلي الصادر عن تجربة عميقة على أن المعنى إذا كان أدبا وحكمة, وكان غريبا نادرا فهو أشرف مما ليس كذلك.<sup>2</sup>

يقول: "الكلام على ضربين: ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلاله اللفظ وحده وذلك إذا قصدت أن تخبر عن زيد مثلا بالخروج على الحقيقة فقلت: خرج زيد, وبالانطلاق عن عمرو فقلت: عمرو منطلق وعلى هذا القياس, وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلاله اللفظ وحده ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل"

<sup>1</sup> - محمد حسين الأعرجي, مرجع سابق, ص [189 , 192].

<sup>2</sup> - ابراهيم رمانى, مرجع سابق, ص ( 115 , 116 ).

وأن تقول المعنى ومعنى المعنى تعني بالمعنى المفهوم من ظاهرة اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة وبمعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر.<sup>1</sup>

كما كان لعمود الشعر الذي أرسى قواعده المرزوقي في شرحه لديوان الحماسة، فطلبوا المعاني المعجبة من خواص أماكنها، أن تكون قريبة التشبيه لائقة الاستعارة، صادقة الأوصاف، لائحة الأوضح، خلابة في الاستعطاف، مستوفية لحظوظها عند الاسهام من أبواب التصريح والتعريض والاطناب والتقصير، والجد والهزل، والخشونة والليان، محتجة في غموض الصنان، لدى الامتهان تعطيك مرادك إن رافقت بها وتمنعك جانبك إن عنفت معها.

يقول: "إنهم كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته و الإصابة في الوصف — ومن اجتماع هذه الأسباب الثلاثة كثرة سوائر الأمثال وشوارد الأبيات — والمقاربة في التشبيه والتحام أجزاء النظم والتمائها على تخير من لذيذ الوزن، ومناسبة المستعار منه للمستعار له ومشكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضاءهما للقافية حتى لا منافرة بينهما فهذه سبعة أبواب هي عمود الشعر، ولكل باب منها معيار.<sup>2</sup>

ومن خلال هذا التصور عند المرزوقي، فقد لجأ إلى تفضيل النثر على الشعر، وأما السبب في قلة المترسلين وكثرت المغلقين وعزمن جمع بين النوعين مبرزا فيهما، فهو أن مبنى (الترسل) على أن يكون واضح المنهج، سهل المعنى، واسع النطاق، وعلى أن يقوم كل بيت بنفسه غير مفتقر إلى غيره، إلا ما

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعنى، ط1، تج: محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1409 هـ، 1988 م، ص (202، 203).

<sup>2</sup> أبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، القسم الأول، ط1، نشره أحمد أمين عبد السلام هارون، دار الجبل، بيروت، لبنان، 1411 هـ، 1991 م، (بتصرف)، ص 907.

يكون مضمنا بأحيه, وهو عيب فيه, فلما كان مداه لا يمتد بأكثر من مقدار عروضه وضربه وكلاهما قليل, وكان الشاعر يعمل قصيدته بيتا بيتا وكل بيت يتقاضاه بالإتحاد, وجب أن يكون الفضل في أكثر الأحوال في المعنى, وأن يبلغ الشاعر في تلطيفه, والأخذ من حواشيه, حتى يتسع اللفظ له فيؤديه على غموضه وخفائه حدا يسير المدرك له والمشرف عليه كالفائز بذخيرة اغتمها, والظافر بدفينة استخرجها وفي مثل ذلك يحسن امحاء الأثر, وتباطؤ المطلوب على المنتظر فكل ما يحمد في الترسل ويختار, ويذم في الشعر ويرفض.<sup>1</sup>

أما حازم القرطاجني أفرد لمسألة الغموض معلما (بابا مستقلا).<sup>2</sup>

ويركز ( القرطاجني ) بتعريفه للشعر على خصوصية الصناعة والغرابه فيقول: "فإن الإستغراب والتعجب حركة للنفس إذا اقترنت بحركتها الخيالية قوى انفعالها وتأثرها، فأفضل الشعر ما حسنت محاكاته وهيئته وقويت شهرته أو صدقه، أو خفي كذبه وقامت غرابته."<sup>3</sup>

والمعاني وان كانت أكثر مقاصد الكلام ومواطن القول تقتضي الإعراب عنها والتصريح عن مفهوماتها فقد يقصد في كثير من المواضع إغماضها وإغلاق أبواب الكلام دونها, وكذلك أيضا فقد نقصد تأدية المعنى في عبارتين: إحداها واضحة الدلالة عليه, وأخرى غير واضحة الدلالة لضروب من المقاصد, فالدلالة على المعاني إذا على ثلاثة أضرب: دلالة إيضاح وإبهام معا, ومن الوجوه التي يكون في المعاني بوجودها فيها أو في عباراتها إغماض لها وبعدها عن البيان ليعتمد الشاعر ما يليق بكلامه من تلك

<sup>1</sup> - أبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي, مرجع سابق, ( بتصرف ) , ص ( 18 , 19 ).

<sup>2</sup> - بشير تاويريت, مرجع سابق, ص 427.

<sup>3</sup> - ابراهيم رمانى, مرجع سابق, ص 116.

الوجوه حيث يقصد كناية أو أَلغاز أو ما أشبه ذلك مما لا يقصد بالدلالة عليه التصريح، ووجوه الإغماض في المعاني: منها ما يرجع إلى المعاني نفسها، ومنها ما يرجع إلى الألفاظ والعبارات المدلول بها على المعنى، ومنها ما يرجع إلى المعاني والألفاظ معا.<sup>1</sup>

فكل معنى غامض وعبارة مستغلقة فغموضه واستغلاق عبارته راجعان إلى بعض هذه الوجوه المعنوية أو العبارية أو إليهما معا أو إلى ما ناسبهما وجرى مجراها مما لعلنا لم نذكر من وجوه الإغماض الراجعة إلى معنى أو عبارة، فعلى هذه الوجوه ووقوع بعضها مع بعض في الكلام مدار الأقاويل التي يقصد بها الكنايات والإلغاز وما جرى مجراها مما لا يقصد فيه الإبانة والتصريح، و يحتاج في موضع التصريح والإبانة أن يتحفظ من وقوع وجه من هذه الوجوه في لفظ أو عبارة فإن ورود المعنى غامضا في كلام قد قصد به الإبانة مما يوعر سبيله ويزيله عن الاعتدال والاستواء مع مناقضته للمقصد.

وأن اشتكال المعاني وغموضها من جهة ما يرجع إليها أو إلى عباراتها يكون لأمر راجعة إلى مواد المعنى أو مواد العبارة أو إلى ما يكون عليه إجراؤهما من وضع وترتيب أو إلى مقادير ما ترتب من ذلك أو إلى أشياء مضمنة فيهما أو أشياء خارجة عنهما.

وإذا قد عدت جملة ما به يكون اشتكال المعاني من جهة ما يرجع إليها أو إلى عباراتها فلنذكر بعض وجوه الحيل التي من شأنها أن يماط بوجه منها ما وقع في المعاني من غموض وإشكال بوجه وجه مما به يكون اشتكال المعاني وغموضها ذكرا موجزا على جهة الإشارة والإيماء.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - أبي الحسن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ط3، تح: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، (د.ت)، ص 172.

<sup>2</sup> - أبي الحسن حازم القرطاجني، مرجع سابق، ص (174 ، 175) .

يقول (القرطاجني): "إن المعاني منها ما يقصد أن تكون في غاية من البيان على ما تقدم, ومنها ما يقصد أن تكون في غاية من الإغماض, ومنها ما يقصد أن يقع فيه بعض غموض, ومنها ما يقصد أن يبان من جهة وأن يغمض من جهة.<sup>1</sup>

وأما ما يرجع إلى اللفظ مما يوقع في المعاني غموضا وإشكالا فمن ذلك أن تكون الألفاظ الدالة على المعنى أو اللفظة الواحدة منها حوشية أو غريبة فيتوقف فهم المعنى عليها, والواجب على الشاعر أن يجتنب من هذا ما توغل في الحوشية والغرابة.<sup>2</sup>

بالرغم من أن حازم يقر بعض أنواع الغموض المتوفرة في الشعر مثل: الألغاز, الكناية, الإحالات إلى نصوص غائبة ( تاريخ, أمثال, أخبار ) التركيب الغريب, الدلالة المتعددة الاحتمالية, مما يجعل الفهم صعبا وبطيئا ويتطلب من القارئ ثقافة خاصة, فان حازم يكشف عن انتصاره للوضوح بحيث تراه بعد أن يعد أوجه الغموض الناجمة عن المعنى الإشكالي القابل لتأويل متعدد, أو ما يقع في الكلام من تقديم وتأخير أو المغالي فيه, يتدبر طرائق الحيل, ويصفها للشاعر, ليستطيع التخفيف من درجة هذا الغموض أو إزالته, فيذكر أنه على الشاعر أن يحسن اختيار العبارة البسيطة التي تؤدي للمعنى الدقيق, وأن يكثر من القرائن التوضيحية ويعتمد على القصص المشهورة حتى لا تلبس الإشارات بالغموض كما ينصحها بالابتعاد عن التعبير الخاص بفنون أخرى أو الدال على معاني علمية .<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - المرجع نفسه, ص 177.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه, ص 185.

<sup>3</sup> - ابراهيم رمانى, مرجع سابق, ص 380.

أما ابن سنان الخفاجي فيرى الغموض عيباً في النظم والنثر على حد سواء يقول : " ومن شروط الفصاحة والبلاغة أن يكون معنى الكلام واضحاً ظاهراً جلياً لا يحتاج إلى فكر في استخراجِه وتأمُل لفهمه, وسواء كان ذلك الكلام الذي لا يحتاج إلى فكر منظوماً أو منشوراً " واحتيج ليعبر للناس عن أغراضهم ويفهموا المعاني التي في نفوسهم, فإذا كانت الألفاظ غير دالة على المعاني ولا موضحة لها فقد رفض الغرض في أصل الكلام, وكان ذلك بمنزلة من يصنع سيفاً للقطع ويجعل حده كليلاً, ثم لا يخلو أن يكون المعبر عن غرضه بالكلام يريد إفهام ذلك المعنى أو لا يريد إفهامه فان كان يريد إفهامه فيجب أن تجتهد في بلوغ هذا الغرض بإيضاح اللفظ ما أمكنه, وان كان لا يريد إفهامه فليدع العبارة عنه فهو أبلغ في غرضه .

وان كان هذا مفهوماً فالأسباب التي لأجلها يغمض الكلام على المسامح ستة :

اثان منها في اللفظ بانفراده

اثان منها في تأليف الألفاظ بعضها مع بعض

واثبات في المعنى .<sup>1</sup>

يرى ( ابن فروجه ) أن الشعر قد يصيبه الغموض من ثلاث أوجه, فهناك الشعر الذي يصدك جهل غريبه عن تصور غرضه, والشعر الذي يعنيه غريبه مجاز فيه وحذف في اللفظ أو تقديم وتأخير سوغه) وسقط الوجه الثالث لسقوط أوراق في المخطوطة ( أي ابن فروجه يرجع الغموض إلى غرابة في الدلالات, النص الغائب والى تعقد التركيب ' الأسلوب '

<sup>1</sup> - ابن سنان الخفاجي, سر الفصاحة, ط1, دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان, 1402 هـ, 1982 م ص ( 220, 221).

ويفرق عبد القاهر بين التمثيل الغامض والتعقيد المذموم فيقول: " أن المعنى إذا أتاك ممثلاً فهو في الأكثر، ينجلي لك بعد أن يجوجك إلى طلبه بالفكرة وتحريك الخاطر له، والهمة في طلبه، وما كان منه الأطف كان امتناعه عليك أكثر و إباؤه أظهر، واحتجاجه أشد".

أما التعقيد المذموم فهو "ما يتعبك ثم لا يجدي عليك، ويؤرقك ثم لا يروق لك"

يتبين لنا من هذا، أنه بالرغم من غلبة الاتجاه النقدي التقليدي، القائل بضرورة الوضوح وغلبة المنطق والثبات في الشعر العربي، فهم بعض النقاد العرب الغموض على أنه مقوم جوهرى للشعر وأنه لا يضير البيان بل يحققه، إلا أن هذا الفهم ظل قاصراً على فئة قليلة، ضعيف الأثر في الاتجاه الشعري الغالب، ومعز ولا متعثراً لا يرقى إلى موقف نظري متكامل يستوعب دلالات الغموض في أعماقها وشموليتها، وهو في موقفه هذا يحاكي موقف أكثر النقاد والأدباء من الشعر الحديث في القديم "ابن المعتز، الصولي، ابن قتيبة، عمرو بن العلاء" بحيث نجدهم يتقبلونه دون أن يصلوا إلى معرفته حقاً، والكشف عن دلالات التحول فيه .

ولذلك بقي النقد الجماعي سائداً، يقرأ الشعر لغوياً لا مجازياً، ويتجنب التأويل البعيد لأثر قراءة الفقهاء للقرآن، وبذلك لم يستطع عبر قراءة لغوية وأخلاقية، أن يتعمق في فهم اللغة الشعرية، بعيداً عن مفهوم الصدق والكذب، وقواعد البيان والخطابة ذات المنحى الدلالي الواحد.<sup>1</sup>

وفي دراسة الغموض أسهم القدماء في كشف الظاهرة من خلال مستويات اللغة والدلالة وفلسفة القول، فان ابن سنان الخفاجي وابن الأثير، وابن طباطبا العلوي.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - ابراهيم رماني، مرجع سابق، ص [ 380 , 383 ].

<sup>2</sup> - مفتاح محمد عبد الجليل، مرجع سابق، ص 288.

يقول: "وعيار الشعر أن يورد على الفهم الثاقب فما قبله واصطفاه فهو واف وما مجه ونفاه فهو ناقص".<sup>1</sup>

وإمام النقاد والبلاغيين القدامى ( عبد القاهر الجرجاني ) ثم القدامى من النقاد المغاربة وعلى رأسهم (حازم القرطاجني, والسلمجماسي ) تناولوا في دراساتهم ومؤلفاتهم معيار الوضوح, وتعدد المعنى والتباسه فضلا عن قضايا الألفاظ ودلالاتها وما صدر عنها من إشارات ورموز كثيرة في سياق التعبير.<sup>2</sup>

فالشعر العربي القديم غلب عليه طابع الوضوح والسهولة وهذا ناتج عن كونه يستخدم لغة محددة الأبعاد منطقية.

<sup>1</sup> - بن طباطبا العلوي, عيار الشعر, (د.ط), تح: عبد العزيز بن ناصر المناع, دار العلوم للطباعة والنشر, الرياض, السعودية 1985 م, ص 06.

<sup>2</sup> - مفتاح محمد عبد الجليل, مرجع سابق, ص 288.

## المبحث الرابع: موقف المحدثين من الغموض

تبلورت ظاهرة الغموض كدلالة جوهريّة للشعر العربي الحديث في سياقه الحضاري الشامل.<sup>1</sup>

وظفرت ظاهرة الغموض في الشعر باهتمام النقاد والدارسين في الشرق والغرب لما لها من تأثير في الممارسة الشعرية ومنجزها الإبداعي وتعتبر هذه الظاهرة من أهم القضايا النقدية التي يتناولها البحث والدرس في هذا العصر.<sup>2</sup>

وإذا كان الغموض في رأي النقاد المعاصرين من مقومات الشعر المعاصر، فإن إيغال المبدعين فيه إلى درجة التعقيد تجعل المنجر الشعري محل جدل ونقد، لأن لجوء الشعراء إلى هذا الغموض ليس إلا رد فعل على الوضوح في الشعر القديم.<sup>3</sup>

فهناك نقاد وأدباء وشعراء ليس لديهم ما يقولونه فيلجأون إلى الغموض الذي لا يخفي أية قيمة فنية أو أية قيمة جمالية.<sup>4</sup>

لعل عز الدين إسماعيل هو أول النقاد الذي عالجوا قضية الغموض في مبحث خاص 'المصطلح الجديد وظاهرة الغموض' فهو يحدد أحيانا بأن الشعر هو الغموض، وعندئذ يكون شيوع الغموض في الشعر العربي الحديث عائد إلى اقترابه أكثر فأكثر من الشعري ونفيه لما هو غير شعري، ويفرق بين

<sup>1</sup> - ابراهيم رماني، مرجع سابق، ص 122.

<sup>2</sup> - مفتاح محمد عبد الجليل، المرجع السابق، ص 282.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 291.

<sup>4</sup> - جهاد فاضل، مرجع سابق، ص 23.

الغموض والإبهام اعتماد على مفهوم امبسون لهما, وبذلك ينتهي إلى أن الغموض خاصية في طبيعة التفكير الشعري وليست خاصية في طبيعة 'التعبير الشعري'.<sup>1</sup>

ويمكننا أن نستبين هذا إذا نحن رجعنا إلى نظرية قديمة ترجع أصولها إلى ( فيكو ) تقول: أن الإنسان يشكل أفكارا خيالية قبل أن يشكل أفكارا عامة, وأنه يدرك الأشياء إدراكا مهوشا قبل أن يصل إلى مرحلة التفكير في هذه الأشياء تفكيراً منظماً, وأنه يفنى قبل أن يقول كلاماً مجدد المقاطع وأنه يقول الشعر قبل أن يعرف النثر, وأنه يستخدم الاستعارات قبل أن يستخدم الألفاظ الاصطلاحية وأن استخدامه للألفاظ استخداماً استعارياً هو بالنسبة إليه شيء طبيعي.<sup>2</sup>

فالشعر يقوم على الخيال, ويؤلف ميتافيزيقيا الإنسان قديماً, ومن ثم كان معرفة خاصة تجعل المستحيل ممكناً والوهم حقيقة.<sup>3</sup>

كما يقول ( فيكو ) حكمة شعرية كانت هي الميتافيزيقا النابغة لا من الاستنباط والتجريد كما هو شأن الفلسفة الحديثة, بل من الشاعرية والخيال, فميتافيزيقا هؤلاء الناس كانت هي الشعر, فكان الشعر نتيجة لضرورة خلق ميتافيزيقا أو تفسير للكون, والضرورة — كما يقال — أم الاختراع والاختراع تعبير بلفظ آخر, كما يقول ( هربرت ريد ) عن الخيال: "والخيال بديل عن المعرفة, وقبل أن تكون المعرفة ميسرة كان الخيال يسد حاجات الإنسان المتساءل بطبعه لشرح الأشياء الغير واضحة " ومن ثم كانت الخاصية الأولى للشعر, كما يقرر ( فيكو ) هي أن يجعل غير الممكن قابل للتصديق

<sup>1</sup> - ابراهيم رمانى, مرجع سابق, ص ( 391 , 392 ).

<sup>2</sup> - عز الدين إسماعيل, مرجع سابق, ص 190 .

<sup>3</sup> - ابراهيم رمانى, المرجع السابق, ص 392 .

ومن جهة أخرى نجد الاستعارة التي هي من أهم صور التعبير الشعري وأبرزها، فالشعر لا يستخدم اللفظ المعتاد بدلالته المحدودة التي تتعلمها، ثم انه كذلك لا يفسر الأشياء تفسيراً منطقياً يقبله العقل ومن ثم فإننا نصف الشاعر بأنه غامض، والحقيقة أننا لا نحكم عليه هذا الحكم لأننا منطقيون، ولأننا اعتدنا أن نتعامل مع اللغة بوضوح.

ويتضح من هذا أن الغموض في الشعر ليس نقيضاً للبساطة وأن الشعر البسيط الذي يهزنا هو في الوقت نفسه عميق، لأن البساطة الساذجة في الشعر لا يمكن أن تهزنا من أعماقنا، وهذه البساطة العميقة التي يصادفها لدى بعض الشعراء لا تجعلنا بحيث نرفض الشعر الغامض بل هي أجدى أن تعطفنا إليه، لأن البساطة العميقة والغموض كلاهما شديد المساس بجوهر الشعر الأصيل.<sup>1</sup>

ولدى يرى أن عز الدين إسماعيل يؤكد ميله نحو الغموض فيقول: أن الشعر الجديد يتسم في معظمه بخاصية في أروع نماذجه بالغموض، وهناك حقيقة عامة تقول أنه إذا كان "الوضوح" ممكناً فإن "الغموض" عجل زهي حقيقة ينبغي إعادة النظر فيها بخاصة عندما نتحدث عن الشعر، ولكنها على كل حال تسند موقف أولئك الذين يرفضون الشعر الجديد لما يغلب عليه من طابع الغموض، فهم يقولون عندئذ أن هناك قدر هائل من الشعر الذي يتسم بالوضوح والبساطة، هو في الوقت نفسه قادر أن يهزنا ويشيرنا، وكم انفعنا بهذا الشعر الواضح البسيط، وبالتالي فإن العدول إذن عن البساطة والوضوح إلى الغموض لا يمثل ضرورة فنية وشعرية على الإطلاق.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - عز الدين إسماعيل، مرجع سابق، ص [ 191 ، 193 ] .

<sup>2</sup> - ينظر، عز الدين إسماعيل، مرجع سابق، ص 187 .

ويعلل ( عز الدين إسماعيل ) رفض القارئ لهذا الغموض بالألفة الطويلة للوضوح السهل في شعرنا القديم, ويدعو إلى ضرورة الاقتراب من هذا الشعر الحديث الغامض, والتمرس على قراءته لفهمه وتذوقه.<sup>1</sup>

ويجرنا الحديث عن وضوح المعاني وغموضها إلى الحديث عن اتجاه من اتجاهات الأدباء في التعبير عن المعاني التي يريدون العبارة عنها, وهو ما يعرف بالمذهب الرمزي في الأدب, وقد أيد هذا المذهب عدد من الأدباء محددين ما يكتف الأديب الرمزي من الخفاء والغموض, ويلجأ الأدباء إلى ضروب من الاحتيال عن المعاني التي يستنكر التصريح بها والكشف عنها, إذ لم يجدوا مناصاً من ذكر هذه المعاني التي يتعلق بها بعض الغرض من كلامهم, فيضطرون إلى ستر لتلك المعاني وإخفائها بستر صريح اللفظ الذي يدل عليها وإخفائه, حتى لا يقع في العيب بذكره وإضراره, ثم يعبرون عن تلك المعاني بألفاظ أخرى يعبر بها عن معانٍ أخرى, ولكن لتلك المعاني الجديدة صلة ولزوم بالمعاني الأصلية, وبإدراكها يمكن التوصل إلى المعاني الحقيقية التي هي غاية الكلام.

وقد يقال أن في اللجوء إلى هذا السبيل خفاء وغموضاً, وإن هذا الغموض ينافي ما ننشده في العمل الأدبي من الوضوح الذي ينشأ عنه الإدراك.<sup>2</sup>

والوضوح الذي يراد به إفادة القارئ أو السامع, أو تزويد كل منهما بطاقة ثقافية خاصة أمر لا شك فيه, لأن المعارف العلمية والثقافات العقلية لا مناص فيها من الوضوح الذي يحدد الفكرة و

<sup>1</sup> - إبراهيم رماني, مرجع سابق, ص 392.

<sup>2</sup> - بدوي طبانة, التيارات المعاصرة في النقد الأدبي, ط3, دار المريخ للنشر, الرياض, 1406 هـ, 1986 م ص ( 255, 256 ).

يستوعبها، وكل غموض فيها يؤدي إلى نقص في المعرفة، التي يراد إفادتها، والإفهام فيها غاية في ذاته، ولا يستطيع المتكلم أو الكاتب الإفهام إلا إذا كان عارفا لما يقول أو بما يكتب فيه، وإلا إذا كان عارفا باللغة التي يعبر بها، وبوسائلها في أداء المعاني و الأفكار باللفظ الموضوع وبالترتيب والضبط المعهودين، حتى يؤدي اللبس والغموض، الذي تضطرب به المعاني، ويتعسر فهمها الفهم المطلوب.<sup>1</sup>

يقول محمد درويش:

لَنْ تَفْهَمُونِي دُونَ مُعْجَزَةٍ

لِأَنَّ لُغَاتِكُمْ مَفْهُومَةٌ

إِنَّ الْوُضُوحَ جَرِيمَةٌ.<sup>2</sup>

وإن كانت القصيدة عند شعراء الحداثة ضد الشرعية فإن أدونيس يعترف بشرعية الغموض في الشعر وهو يدرك جيدا فحوى هذه المشروعية، وهذا ما عبر عنه بقوله: "إني ضد الوضوح الذي يجعل من

القصيدة سطحاً لا عمقاً".<sup>3</sup>

يقول أدونيس:

أَتَغَيِّرُ

أُغَيِّرُ مَا يُغَيِّرُنِي

عُمُوضًا، حَيْثُ الْعُمُوضُ أَنْ تَحْيَا

<sup>1</sup> - بدوي طبانة، قضايا النقد الأدبي، دار المريخ للنشر، الرياض، 1404 هـ ، 1984 م، ص122.

<sup>2</sup> - ابراهيم رماني، مرجع سابق، ص 78.

<sup>3</sup> - بشير تاويريت، مرجع سابق، ص418.

وُضُوْحًا، حَيْثُ الْوُضُوْحُ أَنْ تَمُوتَ.<sup>1</sup>

ولعل الغموض من أخص خصائص الحداثة الشعرية.

فمن الطبيعي أن يتجلى الشعر غريباً مفاجئاً، غامضاً، وسط ذلك السائد، ذلك أنه يخفي الجوانب

الأكثر غنن وعمقا في كيانه الجوانب التي جهلناها أو تجاهلناها وكبتناها، وليس الغموض بمستغرب

— هنا — ما دامت الرؤية الشعرية غريبة وموعلة من وراء معطيات الإدراك، وإلا كيف يمكننا أن

نتصور العالم وأشياءه كما في هذه الأسطر الشعرية:

ذَاتَ يَوْمٍ

تَصِيرُ الْقَصَائِدُ بَوَابَهُ الْمَدِينَةَ

نَحْوَ أَرْضِ الْغَرَابَةِ

وَتَصِيرُ الْغَرَابَةُ وَطَنُ الْأَنْبِيَاءِ

ذَاتَ يَوْمٍ،

تَسِيرُ النُّجُومُ عَلَى الْأَرْضِ مِثْلَ النَّسَاءِ

وتتحلى معالم الغرابة في كيان القصيدة، وفي القصيدة يتحقق ذلك الكون الغريب، الذي لا يسكنه

إلا الأنبياء من منظور الحداثيين، وفيه تسير النجوم كما تسير النساء على أديم الأرض، ما لا يحدث

في الواقع يتحقق في التشكيل اللغوي للشعر.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - أدونيس، مفرد بصيغة الجمع ( صباغة نهائية )، ط1، دار الآداب بيروت، 1975 م، ص ( 230 ، 231 ).

<sup>2</sup> - بشير تاوريريت، مرجع سابق، ص419.

ولم يكن المفهوم الأدونيسي للشعر الذي تبنته مجلة ' شعر ' الحركة الأكثر إيغالا في قلب الحداثة والأكثر حمولة لجرعة الغموض غير محاولة تضخيم الحسي والوجودي والميتافيزيقي للشعراء المحدثين.<sup>1</sup>

ويدافع أدونيس في كل المواقع عن الغموض في الشعر, بوصفه جوهر أصيلا فيه, ينشأ عن اعتماد الشعر لغة مجازية خيالية, تعبر عما تعجز عنه اللغة النثرية العادية, فهو — تحصيل جاهل — بحيث أن الشعر يحاول تجسيد رؤية وتجربة وانفعال.<sup>2</sup>

والصفة الإيجابية التي يضيفها أدونيس على ظاهرة الغموض تظل منوطة بشروط أخرى أهمها: مناقضة الألغاز والتعميمات والأحاجي فالقصيدة العظيمة لا تكون حاضرة أمامك كالرغيف أو كأس الماء, وهي ليست شيئا مسطحا تراه وتلمسه, وتحيط به دفعة واحدة, إنها عالم ذو أبعاد, هذا القول الأدونيسي هو بمثابة رد عن أولئك الذين اتخذوا من الغموض مطية لكتابة شعرية تؤهلهم عبثا من الانضمام الى صف شعراء الحداثة فالغموض في القصيدة يفقد شرعيته, إذا تحول إلى ألعيب شكلية لا يمكنها اختزال مختلف العوامل المعرفية لهم النص الشعري, الذي هو عالم وأبعاد منتهية, عالم متموج متداخل عميق بشفافية دائمة.<sup>3</sup>

يقول أدونيس:

لِمَاذَا كَلَّمَا أَوْضَحْتُ أزدَدْتُ غُمُوضًا؟<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - ابراهيم رماني, مرجع سابق, ص 125.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه, ص 392.

<sup>3</sup> - بشير تاويريريت, مرجع سابق, ص 420.

<sup>4</sup> - أدونيس, مفرد بصيغة الجمع ( صياغة نهائية ), مرجع سابق, ص 229.

وإذا كان الغموض ظاهرة إيجابية في الشعر حسب تصريحات أدونيس فإنه انتقد فيها أنصار الوضوح, فمن مواقفه تلك نذكر قوله: "على الذين يتشدقون اليوم بدعوى أن الغموض يفسد الشعر, أن يتذكروا أن ذلك الغامض 'المفسر' هو من بين القلة الذين أسسوا عظمة الشعر العربي وصاغوا مجدنا الشعري", و في ضوء هذا التنبيه فان نبد تهمه الغموض دعوة باطلة, قناع يخفي به القارئ ضعف ثقافته وقصورها وإصراره على أن يفهم ما تغير بذهنه.<sup>1</sup>

ويقدم أدونيس عبر قراءاته الحديثة للشعر بكل ما فيها من تمويه وتعارض وصفا جيدا مفيدا في فهم ظاهرة الغموض, من جانبها الداخلي الفني, ومن جانبها الخارجي المتعلق بثقافة الجمهور التقليدية المسطحة, وتحولات الواقع الاجتماعي, وتناقضاته المعرفية الغامضة, لكن وقوف أدونيس في موقع المدافع عن الغموض بأي ثمن استنادا إلى وعي النخبة الحديثة الغارقة في غواية الحداثة, جعل نظرتة الجيدة تهتز كثيرا عندما تُحمل الواقع والجمهور كل المسؤولية تبرئ الحداثة الشعرية من مغالطات صارخة, كان ينبغي الالتفات إليها وتصحيحها.<sup>2</sup>

يقول أدونيس:

وَسَوْفَ أَبْقَى غَامِضًا أَلِيًّا

أَسْكُنُ فِي الْأَزْهَارِ وَالْحِجَارَةِ

أَغِيْبُ, أَسْتَقْصِي, أَرَى أَمْوَاجَ

<sup>1</sup> - بشير تاويريريت, المرجع السابق, ص426.

<sup>2</sup> - ابراهيم رمانى, مرجع سابق, ص393.

كَالضُّوءِ بَيْنَ السَّحْرِ وَالْإِشَارَةِ.<sup>1</sup>

وفي حياتنا الشعرية فئة تتخذ من الغموض ستارا لتخفي عجز أصحابها عن الإبداع, أكرر بالمقابل أنني لا أبشر بالوضوح, فالعجز إذا لا يكمن في النص الشعري بقدر ما يكمن في قارئ هذا النص وعلى هذا الأساس ألقى أدونيس كامل المسؤولية على القارئ مبرئا في ذلك مبدع النص والغموض في الواقع ظاهرة طبيعية, ونتيجة منطقية لتضافر مختلف الأسباب والعوامل المعرفية والحضارية.<sup>2</sup>

وتذهب خالدة سعيد مذهب أدونيس في دفاعها عن الغموض الشعري بما هو سؤال, بحث كشف, تعدد دلالي, وصورة للعالم في تصدعه المعرفي واضطرابه الاجتماعي النفسي وتلقي تبعات الغموض على القارئ دون الشاعر, هذا القارئ التقليدي الذي تبدو له القصيدة عدائية, لأنه ينام على حرير الأجداد والكشوف الماضية رفع شعار 'القناعة كنز' واستراح عن طلب المغامرة في المجهول والمصيري.<sup>3</sup>

وقد دارت آراء النقاد المشاركة المعاصرين حول الغموض, فالناقد الدكتور (شفيح السيد) يقرر في حديثه النقدي عن الغموض أن احتمال تعدد المعنى أقرب وصف لهذه الكلمة, ويقول في هذا الصدد: "وإنما تعني, احتمال التعبير المقننين أو أكثر فالتعدد المعنوي هو الدلالة الحقيقية لهذا اللفظ في مجال اللغة والأدب والملاحظ أن لفظ 'غموض' يعني احتمال تعدد المعنى والدلالة" وهو رأي يتفق وطبيعة المصطلح النقدي والأدبي الحديث لذلك استخدمه الناقد الإنجليزي امبسون للاستدلال

<sup>1</sup> - أدونيس, كتاب التحولات والهجرة في أقاليم النهار والليل ( صياغة نهائية ), ط1, دار الآداب, بيروت, 1965 م ص14.

<sup>2</sup> - بشير تاويريريت, مرجع سابق, ص426.

<sup>3</sup> - ابراهيم رمانى, مرجع سابق, ص393.

على التوسع اللغوي في الشعر، وتنوع المعنى في تراكيبه الكلامية، وهو تنوع لا يقصر المعنى على نمط بعينه بل يفتح له أفق كبير باختلاف النشر.<sup>1</sup>

وينطلق امبسون من اعتبار الغموض عنصرا جوهريا في الشعر ومن صميم طبيعته فالغموض معناه أنك لا تحسم حسما فيما تعنيه، أو تقصد إلى أن تعني أشياء عديدة، وفيه احتمال أنك تعني واحد أو آخر من شيئين، أو تعني كليهما معا وأن الحقيقة الواحدة ذات معاني عدة، فالغموض عند امبسون نوع من السخرية المسرحية وتحدث فن معيار التمييز بين أنواع الغموض الجيدة والرديئة يقول:

"يكون الغموض محترما ما دام يسند تعقيد الفكر أو لطاقته أو اكساره أو مادام ندحه يستغلها الأديب ليقول بسرعة ما قد فهمه القارئ، ثم هو ما يستحق الاحترام إن كان وليد الضعف أو ضحالة في الفكر ويبهم الأمر دون داع، أو عندما لا تتوقف قيمة العبارة على ذلك الغموض بل يكون مجرد وسيلة لتوجيه لمادة وتصريفها و ذلك إن كان القارئ لا يفهم الأفكار التي اختلطت وانطبع لديه شيء من عدم الاتساق وعلى الرغم من ذلك يرى امبسون أن الغموض يتجسد على وجه التدقيق في مراكز أعظم التأثير الشعري، ويولد صفة يسميها هو 'التوتر' وقد نسميها الهزة الشعرية نفسها.<sup>2</sup>

وفي المقابل كانت رؤية الدكتور (عدنان قاسم) لظاهرة الغموض في الشعر من جهتين الأولى الغموض باعتباره خاصة فنية مدججة في بناء النص والثانية بوصفه ظاهرة مردودة وهي الإبهام وبذلك التقى مع

<sup>1</sup> - مفتاح محمد عبد الجليل، مرجع سابق، (بتصرف)، ص (283 ، 284).

<sup>2</sup> - ستانلي هايمن، النقد الأدبي ومدارسه الحديثة، ج2، (د.ط)، تح: إحسان عباس ومحمد يوسف نجم، دار الفكر العربي ملتزم الطبع والنشر، (د.ت)، ص56.

رؤية الدكتور (عز الدين إسماعيل) حين تحدث عن الغموض تحت صفة الإبهام ويذهب الناقد الدكتور (محمد لطفي اليوسفي) إلى القول بأن: "الغموض في النص المعاصر راجع في الحقيقة إلى تبديل الموقف من المعنى، وطرائق إنتاجه، والذي تغير ليس مسألة طفيفة يمكن التقاطها بقراءة النص من خارجه، بل إن نظام المعنى هو الذي تغير فطال التغيير جميع مكونات النص، وجميع عناصره البيانية لشعريته"، فان اليوسفي يربط في هذا التصور بين نشوء الظاهرة في النص الشعري بطبيعة المعنى، لأنه يؤكد ضرورة التوازي بين المعنى واللفظ داخل البنية الشعرية.

ويلاحظ الناقد (عبد الكريم مجاهد) أن مقياس الوضوح المسيطر على الشعر والشعرية عند العرب قد ألقى ضرراً كبيراً بمستوى الإبداع، لأن الناقد عملوا على تطويقه بحشد من القواعد المرتبطة بطريقة الشاعر وأسلوبه في تأليف الشعر، وعدوا الغموض جانباً ثانوياً لا يؤثر في البناء الشعري لعلاقته بالاستعارات البعيدة، وميله للكنايات والألغاز ونحوها.

وهكذا — كما يبدو ومن كلام هذا الناقد — فان هذه المسألة انبثق عنها إهمال الحدود وبالشعر وعدم الاهتمام بمفهومه وحقيقته ووظيفته حتى أن الناقد (محمد الهادي الطرابلسي) نبه إلى هذا الأمر فقال في نفس المعنى: "الحقيقة أنه قلما أثار الدارسون مشكل الغموض في محاولتهم لتحديد مفهوم الشعر، وإنما تطرقوا إلى بعض جوانبه بمناسبة الحديث عن غرابته إذا ما قيس بالنشر ووجوه طرافته على صعيد المفهوم، والمظهر، والوظيفة" ويرى الطرابلسي — وقد أدرك أهمية الموضوع — أن الغموض من المسائل المهمة في الشعر، ويقول في هذا الشأن: "أن إثارة مشكل الغموض من صميم البحث في

قضايا الشعر لقيام الشعر على الغموض أساسا، والذي نقترحه في هذا الموضوع أن يعتبر الغموض من مقومات الشعر لا حدث عارضا متمما لعناصر أصلية فيه".<sup>1</sup>

كما يدرس محمد الهادي الطرابلسي الغموض بوصفه أحد مظاهر الحداثة في الأدب، ويرى أنه ملازم للشعر ويؤلف ظاهرة في شعرنا الحديث تشبه ظاهرة الوضوح في شعرنا القديم، وينتهي إلى أنه ضروب عدة، أكثرها ضرورة للشعر أبعدها عن الإبهام وأقربها إلى البيان، ويجعل (الطرابلسي) الغموض الجيد فيما يلي: "أنه يعود إلى المدلول لا إلى الدال، وأن يتبدد بمفعول القراءة المتعددة وأن تتعذر ترجمة الكلام الغامض بشكل واف، وأن توجد قرائن جديدة للفهم تحل محل القرائن المعطلة كما لا يصح أن يجتمع الغموض مع الإبهام الذي يعود إما إلى الإلغاز أو القصور الفني، أو التَّمَحُّلُ باسم الحداثة".<sup>2</sup>

ويقابل الناقد (عبد الكريم مجاهد) بين الغموض في الشعر المعاصر والوضوح في الشعر القديم وهو يرى أن هناك إشارات ورموز دالة على الاهتمام بالغموض في كتابات القدماء من النقاد والبلاغيين وتلك الإشارات والرموز شاهد دال يؤكد بحتم لهذه الظاهرة إلى درجة أنهم فصلوا بينها وبين الإبهام، فحضورها في ثلاث مستويات هي اللفظ والعبارة والمعنى، ولذلك قال هذا الناقد: "رغم انتصار النقاد المعاصرين لجمالية الغموض في مقابل جمالية الوضوح التي دعا إليها النقاد القدماء، فإننا نلاحظ التقاءهم حول عدة فواصل في تناولهم لظاهرة الغموض مع الاختلاف في طرائق، التحليل والتناول".<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - مفتاح محمد عبد الجليل، مرجع سابق، ص [ 285 - 287 ].

<sup>2</sup> - ابراهيم رماني، مرجع سابق، ص ( 393 ، 394 ).

<sup>3</sup> - مفتاح محمد عبد الجليل، مرجع سابق، ص 288.

أما الشعر الذي يبحث عن الجدة في غير موضعها يصل إلى الالتواء كما يقول ( اليوت ) وبين لزوم الغموض المتسم بالشفافية, وعدم الوقوع في فخ الإبهام, وتكلف التعميم يقول أحد النقاد المعاصرين المهتمين بالمضمون في العمل الشعري: "إن التوصيل الشعري ليس هو مجرد التوصيل التقريري أو الإعلامي أو التثقيفي، أو التعليمي، إلى غير ذلك, وإنما هو التوصل الإيحائي, وهو الفاعلية الجمالية الدلالية بلغة البنية الشعرية نفسها, على أن ما نلحظه من غموض بل تعقيد أيضا في بعض ظواهر الشعر الحديث, ومن عدم القدرة على التوصيل لا تدخل في هذا المعنى الخاص للغموض الشعري ولا تقف عند حدود الجماهير غير المثقفة شعريا أو الأمية عامة, وإنما تمتد إلى جماهير المثقفين كذلك".

وإن الغموض المطلوب في العمل الفني الناجح يجب أن يكون " شبيها بالسحابة الرقيقة الناتجة عن علاقة الشمس بالأرض, لا شبيها بالغموض الناتج عن وداع الشمس للأرض".<sup>1</sup>

يقول درويش:

طُوبَى لَشَيْءٍ غَامِضٍ

طُوبَى لَشَيْءٍ لَمْ يَصِلْ.<sup>2</sup>

أما الناقد محمد بنيس فقد درس ما يسميه ( ببلاغة الغموض ) ضمن مستويات متعددة: دلالية نحوية إيقاعية, معرفية, تُولف في مجموعها قوانين النص الحديث الذي تولد غموضه الشديد من مفارقاته لقوانين النص الشعري القديم, الذي ألفه القارئ من جهة, ومغايرته لقوانين اللغة المعيارية اليومية من جهة أخرى, فضلا عن فلسفة هذا الشعر الحديث المغامرة في أرض الغرابة, وذلك تلبية لحاجات

<sup>1</sup> - محمد ناصر, مرجع سابق, ص ( 654 , 655 ).

<sup>2</sup> - ابراهيم رمانى, مرجع سابق, ص 46.

التحول الواقعي الجذري الذي يشهده الواقع الاجتماعي والتاريخي، وتأثراً بخصائص الشعر الغربي الحديث.<sup>1</sup>

يقدم الناقد محمد بنيس تحليلاً خاصاً لظاهرة الغموض في دراسته "ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب" فيؤكد أنها جزء من البنية الشعرية وهي "ناجئة عن انفجار لغة النص"، فالنص الشعري مصدرها الأساسي لأنه مجال النشوء لهذه الظاهرة التي أطلق عليها ( بلاغة الغموض ) ويعتقد هذا الناقد أن الانفصال الملحوظ بين القارئ والمبدع فضلاً عن النص مرجعه إلى التغير في أبنية الكلام

ويقول في هذا المعنى "يحدث الانفصال خلخلة في قوانين الكلام الشعري المؤلف عند الناس فيحدث تركيب قوانين جديدة لا علاقة لهم بها في الشعر السائد أو المسيطر على الذوق الأدبي في مرحلة من مراحل تطور الكلام الشعري"، ويقرر في تحليله النقدي أبعاد الغموض

فيقول عنه: "وظاهرة الغموض ليست مستحدثة ولكن تغيير قوانين بلاغة الشعر العربي المعاصر هو الذي نبه الناس إليه، حيث تعرض الشعر العربي المعاصر لهزة نوعية متكاملة شملت محيطه العام".<sup>2</sup>

ومن ثمة فالغموض عند بنيس انتقال نوعي من قوانين شعرية إلى قوانين أخرى، استحدثتها الحداثة العربية لتغيرها الذاتي والموضوعي، وفي ارتباطها بالحداثة الشعرية في الغرب، وهو إن بدا غريباً في بدايته، لا يلبث أن يغدو مألوفاً مع توفر شروط معقدة أدبية واجتماعية وتاريخية.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص 394.

<sup>2</sup> - مفتاح محمد عبد الجليل، مرجع سابق، ص 289.

<sup>3</sup> - ابراهيم رماني، مرجع سابق، ص 394.

أما قصيدة "نهرين جنازتين" لبنيس صيغة المثنى البانية لدال 'الجنازتين' لا تشد دلالة العنوان إلى فضاء الموت, لا بتفتحها على رمزية صوفية يقول:

أَهْبَطُ

فِي الدَّمِ ذَاتِهِ وَفِي الجَنَازَةِ يَفْدُونَ لِكُلِّ شَاعِرٍ

مَتَاهَةٌ كَأَنَّ النَّهْرَ لَفْظٌ شَعْشَعَانِيٌّ وَهَتَفْتُ اتَّسِعَ

فَمَا عَلَيَّ غَيْرِي ضَاقَتْ وَلَا عَلَيَّ أَحْسَسْتُ

حُنْجُرْتِي خَلَاءَ كُلِّ حَرْفٍ مِنْ حُرُوفِهِ صَلْصَلَةٌ

مَسْتُوفَةٌ بِالدَّمْعِ وَهَذَا النَّهْرُ يَتَّسِعُ فِي المَجْهُولِ

ولعل اقتران الداليتين في تسمية واحدة يستجيب لفعل نصي, يحرض على المؤلففة بين فضاء الكتابة (الكلم) وفضاء الموت (الجرح والجنازة) فيصبح كل واحد منها ماء يصب في نهر الآخر, الذي لا يتوقف في هبوطه أو صعوده المأساوي نحو 'المجهول'.

إن التواشحات الغامضة القائمة بين جهاز العنواني والفضاء النصي, تغري باستقصاء تأويلي أوسع لبناء التجاوبات الدلالية الممكنة, غير أن موضوع البحث في هذا العنصر يدفعنا إلى المراقبة المنهجية مكتفين كخلاصة, بالتوكيد على تراوح الجهاز العنواني المسيج لهذا المتن من ديوان الشعر المعاصر بين استهداف المضمون الموضوعاتي أو استهداف النص الشعري ذاته باعتباره خطابا وموضوعا في آن, ثم

إن هذين التحديدين المؤطرين عند جيران جنيت، ضمن الوظيفة الوصفية يتجسدان في صياغات عنوانية متفاوتة من حيث درجة الغموض.<sup>1</sup>

يمكن الإشارة في آخر هذه المواقف إلى رأي (فريال جبوري غزول) التي تنظر إلى الغموض على أنه إنتاج عوامل توجد مجتمعة أو متفرقة في النص، تسميها 'المستتر' وهو الخفي في النص الذي يمكن استخراجها وترجمته إلى كلمة أو تعبير في اللغة، أي إلى لفظ دال أو ألفاظ دالة، و 'المظهر' وهو الذي يمكن استخراجها وترجمته إلى جدول قياسي أو رسم بياني، أي ما يمكن ترجمته إلى لغة 'سيميوطيقية' أو إلى علامة دالة أو مجموعة علامات دالة، و'المكنون' وهو الذي يمكن استخراجها ولكن لا يمكن ترجمته إلا إلى ذاته، فلا اللفظ ولا الصورة ولا الجدول يمكن أن تعبر عنه، وهو السر بمعناه القدسي

وهو الذي قال فيه الغزالي في (المنقذ من الضلال) مقتبسا ابن المعتز :

" فَكَانَ مَا كَانَ مِمَّا لَسْتُ أَذْكَرُهُ فَظَنَّ خَيْرًا وَلَا تَسْأَلُ عَنِ الْخَيْرِ "

فهي كغيرها من النقاد المحدثين، تسلم بشرعية الغموض كخاصية شعرية أصلية، وخاصة حدثية كبرى، "فالحدثاة تكمن في إبداع نص كثيف الدلالة غامض المعنى، لا نصا أحادي الدلالة وثابت المعنى".<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - نبيل منصر، الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 2007م ص(333،334).

<sup>2</sup> - ابراهيم رمانى، مرجع سابق، ص ( 394 , 395 ).

فالغموض كان أحد القيم الجديدة في تأليف النص الشعري, فأغلب الأشعار المنجزة في الربع الأخير من القرن العشرين اتسمت بالغموض وبعضها أوغل فيه إلى حد التعمية والإبهام, لذلك تباينت آراء الدارسين والكتاب حول مذاهب الشعراء وطرائقهم في عمل الشعر الجديد.<sup>1</sup>

ونفهم من هذه الأقوال أن العرب قد وعو ضرورة الغموض في الشعر بوصفه مقوماً جوهرياً وعلامة تميز قارة تفصله عن النشر, ولا تتعارض مع الوضوح الغالب في شعرهم ولا تنفي البيان السائد لديهم.<sup>2</sup>

فالشعر الجديد إذن يغلب عليه طابع الغموض ذلك لأنه اعتمد الإيحاء والخيال.

<sup>1</sup> - مفتاح محمد عبد الجليل, مرجع سابق, ص290.

<sup>2</sup> - ابراهيم رمانى, المرجع السابق, ص116.

## الفصل الثاني: المظاهر الفنية للغموض في

### الشعر الحدائي (الحديث والمعاصر)

تمهيد

المبحث الأول: الصورة في الشعر الحدائي

المبحث الثاني: اللغة في الشعر الحدائي

المبحث الثالث: الرمز في الشعر الحدائي

خاتمة

بعد خوضنا في ثنايا هذا البحث "شعرية الغموض في الشعر العربي الحديث والمعاصر بشير ونيسي -

أنموذجا -" وبعد تجوالنا الطويل في هذه الدراسة يمكن أن نستخلص أهم النتائج التالية:

- يعتبر مصطلح الغموض واستنادا إلى الكثير من دارسيه من العرب والغربيين فهو يتحدد في خاصية

الإيحاء، التعدد والتلبس الذي لا يفصح عن مكنونه مباشرة وببسر.

- تنوع ظاهرة الغموض على مستويات عدة متداخلة فلسفية، جمالية، نظرية، أدبية ونقدية جعل

حدود البحث فيها تتسع.

- بحسب رأي أدونيس فإن أسباب الغموض في شعر الحداثة ترجع إلى أن الشاعر العربي القديم كان

يعيش في عالم واضح منظم كل شئ فيه مفسر ومحدد.

- يغلب على الشعر العربي القديم طابع الوضوح والسهولة وهذا ناتج عن كونه يستخدم لغة محددة

الأبعاد منطقية لا يميزها عن لغة النثر إلا ما فيها من ارتباط بالأوزان العروضية.

- يغلب على الشعر الجديد طابع الغموض وذلك لأنه اعتمد الإيحاء والخيال.

- أُعتبر الغموض حديثا مدار النص، بل صار الوضوح يعد على العكس نقيضا للشعرية فالجمالية

الشعرية تكمن بالأحرى في النص الغامض.

- تعتمد الصورة الشعرية على الإيحاء بدل التصريح، وهي تتغذى من ذات الشاعر وحالات تأثره

واسترخائه النفسي.

- تعددت في الديوان الصور الشعرية من استعارة مكنية وتصريحية، لكن التصريحية كانت نادرة كما

أكثر الشاعر من استعمال التناص، والتشبيه.

- لعب الرمز دورا كبيرا في ديوان الشاعر بشير ونيسي.
- اعتمد الشاعر في ديوانه كتاب التجلي على تجربة القصيدة النثرية والتجربة الصوفية، واللغة السريالية والخيال الوجودي ونجد في كتاباته نكهة الفيلسوف وتأمل المتصوف.
- نلاحظ أن كل عناوين قصائد الشاعر جاءت نكرة تدل على الإيجاء والغموض والجمال والبعد.
- وفي الأخير نرجو أن نكون قد وفقنا في إتمام هذا العمل وما كان فيه من خطأ فهو منا ومن الشيطان وما كان فيه من صواب فهو من الله وحده ولي التوفيق وشكرا.

قائمة المصادر

والمراجع

## I القرآن الكريم

## II المعاجم والقواميس

- 1- أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء، مقاييس اللغة، ج4، (د.ط)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- 2- أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة المعاصرة، المجلد الأول، ط1، عالم الكتب القاهرة، 1469 هـ ، 2008م.
- 3- الفيروز أبادي، القاموس المحيط، (د.ط)، مكتبة النوري، دمشق، (د.ت).
- 4- جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري ابن منظور، لسان العرب، ج7، ط1 تح: عامر أحمد حيدر، راجعه: عبد المنعم خليل ابراهيم، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان 2003م، 1424 هـ.
- 5- حسن الشرقاوي، معجم ألفاظ الصوفية، ط1، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة 1987م.
- 6- سعاد الحكيم، المعجم الصوفي ( الحكمة في حدود الكلمة )، ط1، دندرة للطباعة والنشر بيروت، لبنان، 1401 هـ ، 1981م.
- 7- فيروز أبادي، القاموس المحيط، ج2، ط3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1398 هـ 1978 م.
- 8- معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، ط4، مكتبة الشروق الدولية، 1425 هـ ، 2004م.

### III الكتب

- 9- ابراهيم رماني, الغموض في الشعر العربي الحديث, ط1, ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر  
1987م.
- 10- ابن سنان الخفاجي, سر الفصاحة, ط1, دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان, 1402 هـ  
1982م.
- 11- أبي الحسن حازم القرطاجني, منهاج البلغاء وسراج الأدباء, ط3, تح : محمد الحبيب ابن  
الخنوجة, دار الغرب الإسلامي بيروت, لبنان, (د.ت).
- 12- أبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي, شرح ديوان الحماسة, القسم الأول, ط1, نشره  
أحمد أمين عبد السلام هارون, دار الجبل, بيروت, لبنان, 1411 هـ , 1991 م.
- 13- أحمد فتوح, الرمز والرمزية في الشعر المعاصر, ط3, دار المعارف, القاهرة, 1984م.
- 14- أدونيس علي أحمد سعيد, مقدمة للشعر العربي, ط3, دار العودة, بيروت, لبنان, 1979م.
- 15- أدونيس, كتاب التحولات والهجرة في أقاليم النهار والليل ( صياغة نهائية ), ط1, دار  
الآداب, بيروت, 1965م.
- 16- أدونيس, مفرد بصيغة الجمع ( صياغة نهائية ), ط1, دار الآداب بيروت, 1975م.
- 17- السعيد الورقي, لغة الشعر الحديث, ط3, دار النهضة العربية للطباعة والنشر, بيروت  
1984م.

## قائمة المصادر والمراجع

- 18- السعيد بوسقطة، الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر، ط2، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عنابة، الجزائر، 1429هـ، 2008م.
- 19- الولي محمد، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، ط1، المركز الثقافي العربي بيروت، لبنان، 1990م.
- 20- بدوي طبانة، التيارات المعاصرة في النقد الأدبي، ط3، دار المريخ للنشر، الرياض 1406هـ، 1986م.
- 21- بدوي طبانة، قضايا النقد الأدبي، دار المريخ للنشر، الرياض، 1404 هـ، 1984م.
- 22- بشير تاويريت، الحقيقة الشعرية على ضوء المناهج النقدية المعاصرة والنظريات الشعرية دراسة في الأصول والمفاهيم، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2010م.
- 23- بشير ونيسي، كتاب التجلي، ط1، مطبعة مزوار الوادي، الجزائر، 2009م.
- 24- بن طباطبا العلوي، عيار الشعر، (د.ط)، تح: عبد العزيز بن ناصر المنع، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، السعودية، 1985م.
- 25- جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1992م.
- 26- جهاد فاضل، قضايا الشعر الحديث، ط1، دار الشروق، بيروت، 1404هـ، 1984م.
- 27- حسن البنا عز الدين، الشعرية والثقافة، مفهوم الوعي الكتابي وملاحمه في الشعر العربي القديم، ط1، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب، 2003م.

## قائمة المصادر والمراجع

- 28- رجاء عيد, فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور, ط3, منشأة معارف, الاسكندرية, (د.ت).
- 29- رمضان الصباغ, في نقد الشعر العربي المعاصر (دراسة جمالية), ط1, دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر, الاسكندرية, 2002م.
- 30- ستانلي هايمن, النقد الأدبي ومدارسه الحديثة, ج2, (د.ط), تح: إحسان عباس ومحمد يوسف نجم, دار الفكر العربي ملتزم الطبع والنشر, (د.ت).
- 31- سلمى الخضراء الجيوسي, الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث, ط1, تر: عبد الواحد لؤلؤة, مركز دراسات الوحدة العربية, بيروت, لبنان, 2001م.
- 32- ضياء الدين بن الأثير, المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر, القسم الرابع, (د.ط), تح: أحمد الحوفي, بدوي طبانة, دار نهضة مصر للطبع والنشر, الفجالة, القاهرة, (د.ت).
- 33- عبد الرحمان محمد القعود, الإبهام في شعر الحداثة (العوامل والمظاهر وآليات التأويل), عالم المعرفة, الكويت, 1422هـ, 2002م.
- 34- عبد القادر القط, الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر, ط2, دار النهضة العربية بيروت, 1981م.
- 35- عبد القاهر الجرجاني, دلائل الإعجاز في علم المعني, ط1, تح: محمد رشيد رضا, دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان, 1409هـ, 1988م.
- 36- عبد القاهر الجرجاني, دلائل الإعجاز, ط5, تح و تع: محمود محمد شاكر, مكتبة الخانجي القاهرة, 2004م.

## قائمة المصادر والمراجع

- 37- عثمان موافي, في نظرية الأدب من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم, ج1 (د.ط) دار المعرفة الجامعية الاسكندرية, 2000م.
- 38- عز الدين إسماعيل, التفسير النفسي للأدب, ط4, دار غريب للطباعة, القاهرة, (د.ت).
- 39- عز الدين إسماعيل, الشعر العربي المعاصر (قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية), ط3, دار الفكر العربي للطباعة والنشر القاهرة, (د.ت).
- 40- فاتح علاق, مفهوم الشعر عند رواد الشعر الحر العربي, (د.ط), دراسة منشورات اتحاد كتاب العرب, دمشق, 2005م.
- 41- محمد بنيس, الشعر العربي الحديث بنياته وابدالاته ( مساء له الحداثة ), ط2, دار توبقال للنشر, 2001م.
- 42- محمد حسين الأعرجي, الصراع بين القديم والجديد في الشعر العربي, (د.ط), عصمى للنشر والتوزيع, القاهرة, (د.ت).
- 43- محمد عبد الواحد حجازي, ظاهرة الغموض في الشعر الحديث, ط1, دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر, الاسكندرية, 2001م.
- 44- محمد غنيمي هلال, النقد الأدبي الحديث, ط6, دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة, 2005م.
- 45- محمد مصطفى أبو شوارب, جماليات النص الشعري ( قراءة في أمالي القالي ), ط1, دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر, الاسكندرية, 2005م.

## قائمة المصادر والمراجع

---

- 46- محمد مفتاح, تحليل الخطاب الشعري ( استراتيجية التناص ), ط1, مركز الثقافى العربى الدار البيضاء, 1985م.
- 47- محمد ناصر, الشعر الجزائرى الحديث ( اتجاهاته وخصائمه الفنية), ط1, دار الغرب الإسلامى, بيروت, لبنان, 1925م.
- 48- مفتاح محمد عبد الجليل, نظرية الشعر المعاصر فى المغرب العربى, ط1, مكتبة الآداب القاهرة, 1428 هـ , 2008م.
- 49- نبيل منصر, الخطاب الموازى للقصيدة العربىة المعاصرة, ط1, دار توبقال للنشر, الدار البيضاء, المغرب, 2007م.
- 50- نعيم الياڤى, مقدمة لدراسة الصورة الفنية, منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومى, دمشق 1982م.

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات

- مقدمة ..... (أ- ب- ت)
- مدخل ..... (5 - 12)
- الفصل الأول: الغموض وموقف النقاد منه
- تمهيد..... (14)
- المبحث الأول: مفهوم الغموض ..... (14 - 18)
- المبحث الثاني: أسباب وعوامل الغموض ..... (19 - 23)
- المبحث الثالث: موقف القدامى من الغموض ..... (24 - 36)
- المبحث الرابع: موقف المحدثين من الغموض ..... (36 - 52)
- الفصل الثاني: المظاهر الفنية للغموض في الشعر الحدائى (الحديث والمعاصر)
- تمهيد..... (54)
- المبحث الأول: الصورة في الشعر الحدائى ..... (54 - 73)
- المبحث الثاني: اللغة في الشعر الحدائى ..... (73 - 79)
- المبحث الثالث: الرمز في الشعر الحدائى ..... (79 - 89)
- خاتمة ..... (91 - 92)
- قائمة المصادر والمراجع ..... (94 - 99)
- فهرس الموضوعات ..... (101)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ